3 me Année, No. 127.

Lundi-9-12-1935

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الادارة
بشارع البدولي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٢٧ « القاهرة في يوم الاثنين ١٣ رمضان سنة ١٣٥٤ — ٩ ديسمبر سنة ١٩٣٥ » السنة الثالثة

فهرس العـــدد

في الجمـــــال ...

— ٤ —

ذلك إجمال القول في الفن الصناعي المرتجل؛ أما الفن الصناعي المنقول فالسر فيه أن يبعث في ذهنك فكرتين: فكرة عن الطبيعة المقلَّدة، وفكرة عن الفنان المقلِّد. فتماثيل فدياس، وصور رفائيل، تجمع بين الجمالين: جمالِ المثال في أصله، وجمالِ الفن في تقليده. كذلك في وصف مغرب الشمس لابن الرومي تجد الاعجاب الناشئ عن القوة والوفرة والذكاء موزعا بين الصورة الناطقة التي أبدعتها الطبيعة، وبين المحاكاة الصادقة التي أخرجتها القريحة

***

إن روعة الجمال الطبيعي آتية من ناحية الحرية في الطبيعة؛ وحرية الطبيعة هي قانونها العام، لا تقوم عظمتها إلا به، ولا تتجلى فخامتها إلا فيه؛ فالغيضة الَّلفَّاء أجل مظهراً في النفس من الحديقة المنمقة، وشلالات النيل أجمل منظراً في العين من النوافير المنظمة؛ لأن الجمال المطلق يملأ خيالك بالتأمل الحالم، وذهنك بالتفكير الرفيع، وشعورك بالطرب الباسط؛ ومظنة العبودية في الحي

أو فى الجماد تضيف إليه معنى من الحقارة والقبح يحطه و يشوهه . ولكن الجمال الصناعى لابدّ أن يتقيد بالقواعد و يتحدد بالأصول ؛ فاذا لم يكن الفنان من البراعة بحيث يخفى تلك القيود ، و يحجب هذه الحدود ، و يظهر السمة الدالة على الطبع المرسل والالهام الحر ، همدت فى فنه الحياة ، وخبا فى جماله السحر ، وضاقت فى عمله الفكرة

ليس الجمال فى الفن المعنوى أو الحسى أن تحاكى الطبيعة محاكاة الصدى ، وتمثلها تمثيل المرآة ، وتنقلها نقل الآلة ؛ تلك هى التبعية التى تنفى الذكاء ، والعبودية التى تسلب القوة ؛ إنما عظمة الفن أن يفوق الطبيعة ؛ و إنما براعة الفنان أن يزيد فى ترتيب صورها بالذكاء ، وفى تنويع تفاصيلها بالوفرة ، وفى توجيه مقاصدها بالعظمة ، وفى بيان تعبيرها بالحياة ، وفى سلطان تأثيرها بالقوة ، وفى حقيقة وقائعها بالسحر الموهم والوشى الخادع

انظر إلى تعاجيب الطبيعة وتهاويل الفلك ، من العواصف والصواعق والبراكين ، تجدها فى ذاتها جليلة رائعة ، ولكنك تجدها فى فن الشعراء والمصورين والمثالين أجل وأروع . لقد وضعوا فيها شهوات النفوس ، وسلطوا عليها تصادم الأهواء ، وصوروها للأذهان فى عالم من الآلهة الكمَلَة فى قواها المختلفة ، تتنافس فى العجائب ، وتتصارع بالأهوال ، وتتفانى على اللذة . وسحر الفن الاغريقى فى صمته وفى نطقه قائم على تجميل الظواهر المروعة فى الطبيعة ، بالنوازع المتضاربة فى النفس

ومن المعلوم فى بداهة العقل أن يكون ما يقلده الفنان فى الطبيعة حقيقاً بالتقليد ، حتى يمكن الجمع بين جمال الشئ فى أصله ، و بين جماله فى نقله ؛ فالمصور الذى يرسم وضعاً من أوضاع الرأس ، أو معنى من معانى الوجه ، أو لوناً من ألوان الحياة ، يكون أسمى فى الفن من المصور الذى يتحامل على براعته حتى يصور أرنبا تكاد من دقة التقليد أن تلحظ وتثبته وتعد وبره . والشاعر الذى يصف عاطفة من عواطف القلب ، أو ظاهرة من ظواهر الكون ، يكون أبلغ فى فنه من الشاعر الذى يجهد قريحته فى وصف حادثة من هَنَوات الحوادث لا تقوم فى ذاتها على فائدة ولا لذة

قد يكون الشيء المنقول فى حقيقته قبيحا ، ولكن صدق التعبير عنه ، ودقة التصوير فيه ، والتماس المنفعة منه ، تجعل تقليده جميلا ، كالوجه الشتيم يرسمه المصور المبدع بريشته ، والخلق الذميم يصوره الشاعر المفلق بقلمه ؛ والملهاة المسرحية موضوعها رذائل الناس ونقائص المجتمع ، ولكنها ارتفعت إلى أوج الفن الجميل بتحليلها العميق ، وتصويرها الدقيق ، وغايتها النبيلة . كذلك الحوادث المؤلمة والمناظر الحزنة والمواقف المؤثرة ليس فيها من الجمال شيء . ولكن استبطان الفنان لمخيلة البائس ، وتصويره الفاجعة ماثلة مثول الواقع ، و إعانته الحقيقة على التأثير بالجمل النافذة ، والصور الأخاذة ، والظلال الرهيبة ، يجعل تقاليدها من أجمل الأشياء ، و يضع المأساة من الفن موضع الواسطة من العقد

فأنت ترى أن التقليد لا يثير الاعجاب فى نفسك ، ولا يُشيع اللذة فى شعورك ، إلا باعتماده على الفن ؛ والفن لا يتحقق جماله إلا بالعظمة فى عمله ، والسعة فى وسائله ، والحكمة فى غايته ؛ فاذا قلدت أصوات الطبيعة من غير تأليف ولا تنسيق ولا معنى ، وأتمت شلالا من الماء والحجر تضارع به شلال أسوان ، وسردت بالكلام الموزون حادثة عادية من حوادث اليوم ، أخطأك الفن وانزوى عنك الجمال ؛ لأنك صغرت الطبيعة ، وحقرت الواقع ، وتعلقت بالتافه ، واستعنت بالمادة ، من غير قوة ولا ثروة ولا علة . ولو أنك رحت تستقرى مفاتن الجمال فى الطبيعة ، أو فى الفن ، أو فى الأثر الذى ينشأ من ائتلاف الطبيعة والفن ، لما وجدتها فى غير ما يعلن القوة والوفرة والذكاء مجتمعة أو متفرقة

ولعلك واجد ما يدعم هذه الفكرة عن الجمال فى قول (شيشرون) : « إن الطبيعة أبدعت الأشياء على صورة تجعل ما يكون منها جمّ المنفعة يكون كذلك جليل المكانة موفور الجمال . إن جلالة هذا المعبد نتيجة لازمة لمنفعته ؛ فلو أنك تخيلت (الكابتول)[1] قائماً فى السماء على هام السحب ، لما وجدت له جلالا فى نفسك ما لم يكن قيامه هناك علة لسقوط المطر »

وهل المنفعة التى أرادها شيشرون فى صنع الطبيعة وفى نتاج الفن إلا الذكاء الذى أردناه فى الجمال وقصدنا به حكمة الغرض وانتظام الخطة ؟

احمد حسن الزيات

(١) الكابتول معبد وقلعة أثنيا على هضبة من هضاب روما السبع

٣ – المجنـــون

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

وكنا في النَّدِيِّ ثلاثةً : أنا و ا . ش و س . ع ؛ وقد هيأت تدبيراً توافقنا عليه لتحريك هذين المجنونين وتدوين ما يجيء منهما . فلما أقبلا تحفّينا بهما وألطفناهما ، وقمنا ثلاثتُنا نبسطهما ونكرمهما ، حتى حسِبا أن في كلمة « مجنون » معنى كلمة أمير أو أميرة . . . . . ورأيتُ في عيني « نابغة القرن العشرين » – وهو أعينُ أنجلُ (١) – ما لو ترجمتُه لما كانت العبارةُ عنه إلا أنه يعتقد أن له نفساً أنثى أعشقها أنا .... فكان مُسَدَّداً فكِهَ اللسانِ تُستملَح له النادرةُ وتُستظرفُ منه الحركة

ولما تمكن منه الغرور واحتاج المجنونُ كما يحتاج الجمالُ إلى كبريائه إذا حاطته الأعيُن – أدار بصره في المكان ثم قال : أفٍّ لكم ولما تصبرون عليه من هذا الندىّ في ضوضائه ورعاعه وغوغائه . إن هؤلاء إلا أخلاطٌ وأوشابٌ وحثالة . هذا الجالسُ هناك . هذا الواقف هنالك . هذا المستوفز . هذان المتقابلان . هؤلاء المتجمّعون . هذا كله خيالُ حقيقة في رأسي . ما هي ؟ ما هي ؟

هذا التصايحُ المنكَر . هذا الضرب بحجارة النّرد . هذه الزحمةُ التي انغمسنا فيها . هذا المكان المائج من حولنا . هذا كله خيال حقيقة في رأسي . هي ، هي ، هي

فانزعج المجنون الآخر ، ووقع في تهاويل خياله . ونظر إلينا تدورُ عيناه ، وتوجّس شرا ، ثم زاغ بصره الى الباب ، واستوفز وجمع نفسه للقيام ؛ فلما رأى صاحبُه ما نزل به ، قهقه وأمعن في الضحك وقال : إنما خوّفتُه الصبيانَ والضرب ليثبت لكم أنه مجنون . . .

فحردَ الآخرُ واغتاظ وجعل يُتمتم بينه وبين نفسه .

قال «النابغة» ما كلامٌ تطنّ به طنين الذبابة أيها الخبيث ؟

قال : « مما حفظناه » أن من علامات الأحمق أنه إذا استُنطق تخلّفَ ، وإذا بكى خار ، وإذا ضحك نَهَق . . . كما فعلت أنت الساعةَ تقول هاء ، هوء ، هيء . . .

فتغير وجه « النابغة » ، ونظر إليه نظرةً منكَرة ، وهمَّ أن يقتحم عليه وقال : أيها المجنون . لماذا تضطرني إلى أن أجيبك جواب مجنون . . . لا نجوت إن نجوتَ مني

فأسرع ا . ش . وأمسك به واعترض من دونه س . ع . وقال له : أنت بدأته والبادىء أظلم

قال : ولكن ويحه كيف قال هذا ؟ كيف لم يقل إلا هذا ؟ كيف لم يجد إلا هذا يقوله ؟ أنابغة القرن العشرين أحمق ، وقد أوجـــده الله في القرن العشرين ؟ لهممتُ والله أن أكسرَ الذي فيه عيناه فما يقول إلا أني أحمق القرن العشرين

***

قلتُ : إن كان هذا هو الذي أغضبك منه ، ففي الحديث الشريف : ليس من أحدٍ إلا وفيه حَمقةٌ ، فبها يعيش . والحياة نفسها حماقة منظّمة تنظيما عاقلا ؛ وما يُقبِل الانسان على شيء من لذاتها إلا وهو مقبلٌ على شيء من حماقاته ؛ وأمتعُ اللذة ما طاش فيه العقل وخرج من قانونه ؛ ولولا هذا الحق في طبيعة الانسان لما احتمل طبيعةَ الحياة . أليس يُخيّل اليك أن أكثرك غائب عن الدنيا وأقلك حاضرٌ فيها ، وأن يقظتك الحقيقية إنما هي في الحلُم وما يشبه الحلُم ، كأنك خُلقتَ في كوكب وهبطتَ الى كوكبنا هذا ، فما فيك له ولا فيه لك إلا القليلُ يلتئم بعضُه ببعضه ، وأكثرك متنافر أو متناقض أو متراجع ؟

قال : بلى

قلت : فهذا القليل هو الحَمقةُ التي بها تعيش ، وهو أرضيّةُ الأرض فيـــك . أما سماويةُ السماء فبعيدةٌ لا تحتملها طبيعة الأرض . ولهذا يعيشُ أهلُ الحقيقة عيشَ المجانين في رأي المغرورين الذين غرّتهم الحياة الفانية ، أو المخدوعين الذين خدعتهم الظواهر الكاذبة ؛ فكلما أتوا عملاً من الأعمال السامية انتهى إلى الحق معكوساً أو محوّلاً أو معدولاً به . ولعل هذا أصح تفسير للحديث الشريف : أكثر أهل الجنة البُلْه

قال المجنون الآخر : « مما حفظناه » أكثر أهل الجنة البُلْه

فقال (النابغة) : المصيبةُ فيك أنك أنت هو أنت . ألا

(١) أي واسع العين أنجلها ، وقد مر وصفه في المقالة الأولى

فلتعلم أنك من بلهاء البيمارستان لا من بله الجنة

قلت : ثم إن الموت لا بد آت على الناس جميعاً فيسلبهم كل ما نالوه من الدنيا ويلحق من نال بمن لم ينل ؛ فهذا الذي يسر بأن ينال مالا يبقى له إلا أن يكون سروره من حماقته ؛ ومثل الذي يحزن على أن يفوته ما لا يبقى له إلا أن يكون حزنه حماقة أخرى ؟ وأي شيء في الحب بعد أن ينقضي الحب إلا أنه كان حماقة ضربت في الحواس كلها حتى ملأت النفس ؛ ثم ملأت النفس حتى فاضت على الزمن . ثم فاضت على الزمن حتى خبلت العاشق تخبيلاً لذيذاً تصغر فيه الأشياء وتكبر ويجعل الواقع في النفس غير الواقع في دنياها ؟ يشبه كل عاشق حبيبته بالقمر : فهب القمر سمع هذا وفهمه وعناه أن يجيب عنه ، فماذا عساه يقول إلا أن يعجب من هذا الحمق في هذا التشبيه ؟

* * *

فهدأ (النابغة) وسكن غضبه وقال : صدقت ولهذا أنا لا أشبه حبيبتي بالقمر .

قلت : فبماذا تشبهها ؟

قال : لا أقول لك حتى أعلم بماذا تشبه أنت حبيبتك .

قلت : وأنا كذلك لا أشبهها بالقمر

قال : فبماذا تشبهها ؟ قلت : حتى أعلم بماذا تشبه أنت ...

قال : هذا لا يرضى منك وأنت أستاذ (نابغة القرن العشرين) ولك حبائب كثيرات عدد كتبك ، وقد أعجبتني منهن تلك التي في (أوراق الورد) وأظنك أحببتها في شهر مايو من سنة ... من سنة ...

قال المجنون الآخر : من سنة ١٩٣٥ ؛ هأنذا قد نبهتك

قال : ياويلك ! إن (أوراق الورد) ظهرت من بضع سنين ، إنما أنت من بلهاء البيمارستان لا من بله أوراق الورد ... ماذا كنت أقول ؟

قال أ . ش . كنت تقول : هذا لا يرضى منك ولك حبائب كثيرات .

قال : نعم لأنك إذا شبهت واحدة منهن بالقمر انتهى القمر وفرغ التشبيه فيظل الأخريات بلا قمر ... ثم إن كلف القمر لا تعجبني ، فلونها أدكن مغبر[1] يضرب أحياناً إلى السواد ...

فإذا عشقت زنجية فهمنا محل التشبيه بالقمر . . . أما البيض الرعابيب فتشبيههن بالقمر من فساد الذوق

قال س . ع : وللألفاظ ألوان عندك ؟

قال : لو كنت نابغة لأبصرت في داخلك أخيلة من الجنة . ألم يقل أستاذنا آنفاً عن (نابغة القرن العشرين) إنه هبط من كوكب إلى كوكب ؟ ففي كوكبنا الأول يكون لنا سمع ملون وحس ملون ، نسمع قرع الطبل أزرق ، ونفخ البوق أحمر ، ورنين النغم الحلو أخضر[2] ، والوجود كله صور ملونة سواء منه ما يرى وما يحس وما هو مستخف وما هو ظاهر

ثم أومأ إلى المجنون الآخر وقال : واسم هذا الأبله كلفظ الحبر لا أسمعه إلا أسود ...

* * *

وسكت « النابغة » وسكتنا ؛ فقال له س . ع . مالك لا تتكلم ؟ قال : لأني أريد السكوت . قال : فلماذا تريد السكوت ؟ قال : لأني لا أريد أن أتكلم ...

وتحرك في نفسه الغيظ من المجنون الآخر فرمى بعينه الفضاء ينظر اللاشيء وقال : إذا أصبح كل النساء ذوات لحى أصبح هذا عاقلاً ... فدق الآخر برجله دقات ممدودة ؛ فثار (النابغة) وقال : من هذا يشتمني ؟

قال س . ع . لم يشتمك أحد ، هذا خفق رجل على الأرض .

قال : بل شتمني هذا الخبيث وسمعي لا يكذبني أبداً ، وأنا رجل ظنون أسيء الظن بكل أحد ، وعلامة الحازم العاقل سوء ظنه بالناس . فهبه كما قلت قد خفق بنعله أو خبط برجله فهو يعلم ما يعني من ذلك وأنا أسمع مايعنيه . لقد طفح الشمر على قلبي فلا بد لي من هجائه ، ولا بد أن أذبحه ولو بالكلام ، فإني إذا هجوته رأيت دمه في كلماتي ، وأريد أن أجعله كالعنز التي كانت عندنا وذبحناها

ثم انتزع قلم س . ع . وقال : هذه هي السكين . ولكن أسألك يا أستاذي أن تذبحه أنت بكلمتين وتضعف له جنونه فقد

[1] الدكنة لون بين الحمرة والسواد

[2] هذا واقع وليس من الخيال فبعض الناس يسمعون الأصوات ويحسون الأشياء ملونة ؛ وعلماء الأمراض العصبية يعرفون هذا ويعللونه بأنه صور ذهنية قد لبسها مؤثر من المؤثرات فهو يصبغها بلونه . أفادنا هذه الفائدة دكتورنا محمد الرافعي

عَزَب عني الشعر . إن خفقة رجيل على الأرض تستطير الأرانب فزعاً فينفرن إلى أجحارهن ويتهارين ، وما كانت أبيات الشعر في ذهني إلا أرانب . . .

أنتم لا تعرفون أن من كان حصيفاً تيبيتاً مثلي كان دقيق الحس ، ومن كان قدماً غبياً مثل هذا كان بليد الحس غليظاً كثيفاً . فاذا أنا استشعرت البرد رأيتني قد سافرت الى القطب الشمالي ؛ أما هذا المجنون فهو إذا استشعر برداً سافر إلى عباءته أو لحافه . . . . إذ هو لا يعرف جغرافيا ولا يدري ما طحاها

قلت : هذا منك أظرف من نادرة أبي الحارث . قال : وما نادرة أبي الحارث ؟ وهل هو نابغة ؟

قلت : جلس يتغدى مع الرشيد وعيسى بن جعفر ، فأتي بخوان عليه ثلاثة أرغفة ، فأكل أبو الحارث رغيفه قبلهما ، والرشيد ملك عظيم لا يأكل أكل الجائع وإنما هو التشميث من هنا وهناك . فكان رغيفه لا يزال باقياً . فصاح أبو الحارث فجأة : ياغلام ، فرسي . ففزع الرشيد وقال : ويلك مالك ؟ قال : أريد أن أركب الى هذا الرغيف الذي بين يديك . .

قال (النابغة) : ولكن فرقاً بين أبي الحارث وبين (نابغة القرن العشرين) ، فان من العجائب أني ربما نظرت الى الرجل وهو يأكل فأجد الشبع حتى كأنه يأكل ببطني لا ببطنه . ولكن من العجائب أن هذا لا يتفق لي أبداً حين أكون جائعاً

أما هذا المجنون الذي أمامنا فربما أبصر الحمار على ظهره الحمل فيشعر كأن الحمل على ظهره هو لا على ظهر الحمار . .

قال الآخر : « مما حفظناه » أنه سرق لأعرابي حمار ، فقيل أسرق حمارك ؟ قال نعم وأحمد الله . فقيل له على ماذا تحمده ؟ قال على أني لم أكن عليه حين سرق . . فأنا إذا رأيت حمارا مثقل الظهر حمدت الله على أن الحمل لم يكن علي ، لا كما يقول هذا . ثم دق برجله دقات . .

فاستشاط (النابغة) وقال : أسمعتم كيف يقول إني مجنون ، ثم لا يكتفي بهذا بل يقول إني حمار على ظهره الحمل ؟

قلت : ينبغي أن تتكافأ وهذا لايبيعك منه ولايبيعه منك ، فان من تواضع النوابغ أن يشعروا ببؤس الحيوان ، فاذا شعروا ببؤسه دخلتهم الرقة له ، فاذا دخلتهم الرقة صار خيال الحمل حملا على قلوبهم الرقيقة ؛ وقد يصنعون أكثر من ذلك . حكى الجاحظ عن ثمامة قال : كان (نابغة) يأتي ساقية لنا سحراً فلا يزال يمشي مع دابتها ذاهباً وراجعاً في شدة الحر أيام الحر ، وفي البرد أيام البرد ، فاذا أمسى توضأ وقال : اللهمّ اجعل لنا من هذا الهم فرجاً ومخرجاً ؛ فكان كذلك إلى أن مات

قال المجنون الآخر : « مما حفظناه » ثمرة الدنيا السرور ولا سرور للعقلاء ، فلو لم يكن هذا أعقل العقلاء لما محق سروره في الدنيا هذا المحق الى أن مات غمّاً رحمه الله

* * *

قال س . ع . فاعف الآن عن صاحبك ولا تذبحه بالهجاء

قال : لقد ذكرتني من نسيان ، وهذا المجنون يرى نسياني من مرض عقلي ، وكان الوجه لو تهدّى الى الحقيقة أن يراه شذوذاً في العقل أي نبوغا عظيما كنبوغ ذلك الفيلسوف الذي أراد أن يعرف في كم من الزمن تسلق البيضة ؛ فأخذ بيده الساعة وبيده الأخرى بيضة ثم نسي نسيان النبوغ فألقى الساعة في الماء على النار ، وثبتت عينه على البيضة ينظر فيها على أنها هي الساعة . ولو قد رآه هذا الأبله لزعمه مجنونا كما يزعمني ، فان المجانين يرون العقلاء مرضى بمواهبهم وأعمالهم التي يعملونها

وأنا فليس يهيجني شيء ما تهيجني كلمات ثلاث : أن يقال لي مجنون ، أو أبله ، أو أحمق . فمن رغب في صحبتي فليتجنب هذه الثلاث كما يتجنب الكفر والكفر والكفر . . .

قال ا . ش . فاذا قيل لك مثلا . مثلا . أي على التمثيل : مغفل . . .

فحك رأسه قليلا وقال : لا ، هذه ليست من قدري[1] . . .

قلت : فبعض الكلمات إذا قطعت عندك غيرت الحقائق ، كذلك القرن الذي قطع فرد البقرة فرساً ؟

قال وكيف كان ذلك ؟

قلت : زعموا أن أعرابياً خرج إخوته يشترون خيلاً ، فخرج معهم فجاء بعجل يقوده . فقيل له ما هذا ؟ قال فرس اشتريته . قالوا : يامائق هذه بقرة أما ترى قرنيها ؟

فرجع الى منزله فقطع قرنيها ثم قادها اليهم وقال لهم : قد أعدتها فرساً كما تريدون . . .

قال (النابغة) هذا غير بعيد ، فقد رأيتنا حين ذبحنا العنز

(١) نص عبارته (دى مش أدى) . . .

وكسرنا قرنيها أعدناها كلبة سوداء ، فتقذَّرتها وعِفتُ لحمها ولم أطعم منها

ثم أومأ الى الآخر وقال : هذا لا يدرى ما نَطحَاها ، وهو مثل العَنز يحسب قرنيها للقتال والنِّطاح ومنهما تمسك للذبح . فقل فى هذا يا أستاذ (نابغة القرن العشرين)

قلت للآخر : أيرضيك أن أقول فى المعنى لا فيك أنت ... ؟

قال نعم ، فكتبت هذه الأبيات على ما يريد النابغة :

قل لعَنز نَاطِحَاها   لقتالٍ ســلَّحَاها
مالهــا قد طَرَحَاهَا   فى يَدَىْ ذَابِحَاها

* * *

شِيمةٌ منى نَحَاهَا   عقــلُ غِرٍ فلحَاهَا
ليس يدرى ماطحاهــا   بل يرى شمسَ ضُحَاها
حجَرا مثلَ رَحَاهَا   ويرى الليــلَ نحَاهــا
ظُلماً طالت لِحَاها

* * *

وسر (النابغة) وازدهى وجعل يقول طالت لحاها ، طالت لحاها ؛ وما كان هــذا إلا السرور الأصغر ؛ أما سروره الأكبر فجيءُ ساعى (البريد المستعجل) الى الندىّ وفى يده رسالة عنوانها : نابغة القرن العشرين فلان بندىّ كذا

وجعل الرجل يهتف بالعنوان يسأل عن صاحبه ؛ فتطاولت أعناق الناس ورفعوا أبصارهم ينظرون الى (نابغة القرن العشرين) وقد مدّ يده يتناول الرسالة وكأنه ملك من القدماء أسقط له كتابٌ بالفتح العظيم وبضم دولة الى دولته

ثم ترك الرسالة بين أصابعه يقلبها ولا يفضّها ونحن فى دهشة من أمره ؛ فنظر فيها المجنون الآخر وقال له : هذا عجيب يا أخى كيف هذا ؟ إن هذا لا يصدَّق . إنك لم تُلقِها فى صندوق البريد إلا منذ ساعة ... ...

(لها بقية)   مصطفى صادق الرافعى

المبشرون : كتب الينا فاضل يذكر بعض سخافات المبشرين نقلها من أحد كتبهم وسألنا الرد عليهم فأبلغ الرد على هؤلاء تجنبهم وإهمال كل ما يكتبون إذ هم مصابون بجنون الفكرة الدينية ؛ ومثلهم فى كل ما يكتبونه عن الاسلام مثل رجل أمريكى (نابغة) ... يريد أن يقيم لك البرهان على أن الجمل العربى إنما هو مصنوع فى مصانع فورد ... ...   الرافعى

٢ ـ الصقالبة فى الرواية العربية
وفى الدولة الأندلسية
للأستاذ محمد عبد الله عنان

— ٣ —

ونلاحظ أنه بينما كان نفوذ الصقالبة يقوى ويشتد فى بلاط قرطبة وفى الدولة الأموية فى الأندلس ، إذا بنفوذ الصقالبة يغزو بلاطا إسلاميا آخر ودولة إسلامية أخرى هى الدولة الفاطمية ؛ ومما يدعو إلى التأمل أن يزدهر النفوذ الصقلبى فى البلاط الفاطمى فى نفس العصر ، أعنى فى أواسط القرن الرابع الهجرى ، وفى ظروف مماثلة ؛ وقد قامت الدولة الفاطمية فى المغرب بمؤازرة القبائل المغربية القوية ، واستأثر زعماؤها مدى حين بمناصب الثقة والنفوذ ؛ ولكن تطوراً وقع فى السياسة الفاطمية ؛ ومنذ عهد المعز لدين الله يغزو نفوذ الصقالبة البلاط الفاطمى ويغالب نفوذ المغاربة ؛ وقد كان جوهر الصقلى أعظم أعوان المعز وكبير قادته من أصل صقلبي ، وكان له فى الدولة وفى الجيش أعظم نفوذ ؛ وفى عهد العزيز سما نفوذ الصقالبة وساد فى القصر وفى الوزارة ؛ وبلغ ذروة قوته فى أوائل عهد الحاكم بأمر الله الذى تولى الملك صبياً وتولى الوصاية عليه صقلبي هو برجوان ؛ وفى عهد وصايته القصير سيطر الصقالبة على القصر والدولة ، واستأثر بمناصب النفوذ والحكم نفر من الفتيان الصقالبة مثل يانس وميسور وعين وغيرهم ؛ ولكن الحاكم لم يلبث أن تخلص من هذا النفوذ الخطر بمقتل برجوان ونكبة الفتيان الصقالبة ، وبذلك انهار نفوذ الصقالبة فى البلاط الفاطمى [1]

وكان ذلك فى أواسط القرن الرابع وفى أواخره حيث كان يزدهر نفوذ الصقالبة فى بلاط قرطبة فى عهد الناصر حسبما بينا ، ثم فى عهد ولده الحكم المستنصر من بعده . ولما توفى الناصر كان نفوذ الصقالبة أشد ما يكون بسطة فى القصر وفى الحكومة ؛ وكان فتيان القصر الصقالبة وهم المعروفون بالخلفاء الأكابر أول من أخذ البيعة

(١) المقريزى (مصر) ج ٣ ص ١٧ و ١٨ و ج ٤ ص ٦٨

للحكم المستنصر ؛ وكان حاجب الحكم ، جعفر بن عبد الرحمن الصقلبي أقوى وأعظم رجل في الدولة[١] ؛ وكان الحرس الخلافي المكون من الفتيان الصقالبة سياج البيعة الخلافية وأبرز مظاهرها ؛ وكان من وزراء الحكم أيضاً زياد ومحمد ابنا أفلح الصقلبي صاحب الخيل في عهد الناصر[٢] ؛ وفي عهد الحكم غدا الحرس الخلافي كل شيء في القصر ، وغدا عصمة الخلافة والخليفة يسهر على سلامة عرشه وشخصه ، ويحميه من المؤامرات والدسائس الخارجية ؛ وكان أولئك الجند الصقالبة يعتدون بقوتهم وسلطانهم ويمرحون في العاصمة ويعيثون أحياناً إلى أهلها ، وكان الحكم يخشى بأسهم ويغضي عن تصرفهم وسوء سلوكهم[٣] ؛ وكان عدد الحرس الخاص من الفتيان الصقالبة يبلغ زهاء الف ، بيد أنهم كانوا يتمتعون بوفرة في الوجاهة والثراء ، ويملكون الضياع الشاسعة ، ويسيطرون على كثير من الأتباع والحاشية[٤]

وهكذا أصبح الحرس الخلافي أو الفتيان الصقالبة في بلاط قرطبة أصحاب الحول والقوة ، وغدوا عاملا يحسب العرش حسابه ، بل غدوا قبل بعيد حكما في مسألة العرش وولاية العهد ، مثلما غدا الحرس التركي في بلاط بغداد . ولما توفي الحكم (سنة ٣٦٦هـ ـ ٩٧٦ م) كان الصقالبة هم سادة الموقف وأصحاب الكلمة في ولاية العرش والخلافة . وكانت زعامتهم بيد فائق النظامي صاحب البرد والطراز ، وجوذر صاحب الصاغة والبيازرة ، واليهما كان أيضاً أمر الغلمان الفحول خارج القصر . وكان رأى الصقالبة أن يصرف النظر عن تولية ولي العهد هشام بن الحكم ، وهو يومئذ غلام في نحو الحادية عشرة حتى لا يفقدوا نفوذهم في ظل وصاية جديدة ، وأن يولي الخلافة أخو الحكم المغيرة بن عبد الرحمن الناصر فيكون لهم بذلك فضل تمكينه من توطيد نفوذهم وسلطانهم عليه ؛ ولكن الحاجب جعفرا المصحفي أدرك ما يضمره الصقالبة من وراء هذا المشروع ولم يقرهم على التآمر بولي العهد ؛ ونظم البيعة لهشام ولي العهد بمعاونة الوزير محمد بن أبي عامر ؛ ودبر الاثنان مقتل المغيرة بن الناصر خشية مناوأته ، وتولى ابن أبي عامر تنفيذ الجريمة ، وبذا استقر هشام المؤيد في العرش الخلافي ؛ وانهار مشروع الصقالبة ؛ ودبت الوحشة على أثر ذلك بين الصقالبة والحاجب جعفر ، فأخذ يتحين الفرصة لسحقهم ؛ وكان ابن أبي عامر يستميل الصقالبة ويداريهم بادئ ذي بدء حتى تمكن نفوذه في القصر وفي الجيش ؛ وعندئذ اتفق مع الحاجب على نكبة الصقالبة وتشريدهم ، ولم يدخر في ذلك وسيلة ظاهرة أو مستترة حتى شرد زعماؤهم واستصفيت أموالهم وأخمدت شوكتهم ، ونفي زعيمهم فائق إلى الجزائر الشرقية (جزائر البليار)[١] ، وفي ذلك يقول شاعر معاصر هو سعيد الشنتريني :

أخرج من قصر امام الهدى	كل فتى منبسط جائر
فمن رأينا منهم قال لا	مساس قبل الناس بالشاكر
نخف ظهر الملك المرتضى	قد خف من ثقلهم الظاهر
وسال ماء العلم من وجهه	مذ مال عن حبلهم الخائر
فلازم الميدان في قصره	مع الوزير الخير الطاهر

ولما سما أمر ابن أبي عامر وسحق كل خصومه ومنافسيه واستبد بالسلطة ، رأى أن يتخذ من البربر بطانة له وخولا وأن يستعين بهم على العرب ، فقدمهم في الحكومة والجيش ، وعمل على تمزيق القبائل العربية ؛ وكانت العصبية العربية قد اضمحلت منذ بعيد ، فلم تلق السياسة الجديدة معارضة تذكر ؛ وهكذا حل البربر مكان الصقالبة في الالتفاف حول السلطة العليا والتمتع برعايتها ، بيد أن الصقالبة لم يفقدوا كل نفوذ بعد ، فقد استمر عدد كبير منهم يشغل وظائف الخاص بالقصر ؛ ولما أنشأ ابن أبي عامر حاضرته المعروفة بالزاهرة ، واتخذ سمة الملك وتسمى بالحاجب المنصور ، عاد إلى اصطناع الصقالبة ، واتخذ منهم إلى جانب البربر حاشية وبطانة ؛ وحشد منهم كثيراً في الجيش[٢] ؛ والظاهر أن هذه الطائفة أعني الصقالبة كانت تتمتع بصفات وخلال خاصة تجعلها أداة لينة صالحة في يد السياسة القوية الحازمة ، وإذا كان الصقالبة قد بدوا في أحيان كثيرة خطرا على الدولة والعرش فقد كان ذلك من أثر السياسة التي تمد لهم في السلطة وتسمح لهم باستغلالها ، وتغضي عن صلفهم وتمردهم ؛ وقد

(١) نفح الطيب ج ١ ص ١٨٠ — البيان المغرب ج ٢ ص ٢٠٨
(٢) نفح الطيب ج ١ ص ١٨١ — ابن الأبار في الحلة السيراء ص ١٠٤
(٣) Dozy; ibid II P. 255
(٤) البيان المغرب ج ٢ ص ٢٧٧

(١) البيان المغرب ص ٢٨٠ و ٢٨١ ــ ابن خلدون ج ٤ ص ١٤٧ — Dozy ; ibid ; II 207
(٢) ابن خلدون ج ٤ ص ١٤٨

كانت هذه حال الصقالبة فى عهد الحكم المستنصر وحين وفاته ، فقد بلغ من سلطانهم ونفوذهم أن اعتزموا التصرف فى أمر العرش طبق أهوائهم ، ولولا أن سحقهم يد ابن أبى عامر القوية لاستمر سلطانهم المطلق . بيد أن ابن أبى عامر لم يجد بأساً بعد أن أخمد شوكتهم وشرد زعماءهم من أن يستخدمهم أداة لتنفيذ إرادته ، بل لم يجد بأساً من أن يرفع بعضهم الى أسمى المناصب ، كما حدث فى شأن مولاه الفتى واضح الصقلبى ، فقد منحه حكم الولايات الجنوبية وولاه قيادة الجيش الذى بعثه لمحاربة أقوى وأخطر خصومه زيرى بن عطية البربرى حاكم المغرب الأقصى ؛ وقد كان لواضح هذا وعصبته الصقالبة شأن عظيم فيما تلا من الحوادث والخطوب

— ٤ —

ولم يستطع الصقالبة فى ظل حكومة المنصور القوية أن يتدخلوا فى شؤون الدولة أو يؤثروا فى سيرها وتوجيهها ؛ فلما توفى الحاجب المنصور (٣٩٣ هـ - ١٠٠٢ م) ، وانهارت الدولة العامرية بعدئذ بقليل ، رأى الصقالبة الفرصة سانحة للعمل ، فانضموا إلى الحزب الأموى الذى عمل لاسقاط الدولة العامرية وسحق البربر الذين آزروها ومكنوا لها ؛ ولما ظفر محمد بن هشام زعيم هذا الحزب ببغيته واستولى على قرطبة وتلقب بالمهدى ، انضم اليه الفتى واضح وعصبته الصقالبة واتخذ واضحاً لحجابته وانضم فريق آخر من الصقالبة بزعامة خيران العامرى وزميله عنبر إلى سليمان المستعين خصيم المهدى ومنافسه ، وجرت بين الفريقين مواقع جمة ، واستتب الأمر للمهدى ؛ ولكن الصقالبة لم يخلدوا إلى السكينة ورأوا صالحهم فى إبعاد المهدى عن العرش ، فتفاهم الصقالبة من الحزبين وائتمر واضح وخيران بالمهدى فقتله الصقالبة فى الحمام (سنة ٤٠٠ هـ) وأخرج واضح الخليفة المؤيد هشام المحجور عليه ، وكان سجيناً بالقصر منذ أيام المنصور ، وأجلسه على العرش ؛ وتولى واضح حجابته ، واستأثر بكل رأى وسلطة ؛ وقبض على ناصية الأمور فى قرطبة مدى حين ؛ ولكن سليمان المستعين لم يلبث أن هاجم قرطبة فى جموعه البربر ثم دخلها رغم كل ما اتخذه له واضح من الأهبة لمقاومته ، وفتك جنده بالسكان أيما فتك ، واقتحموا مدينة الزهراء وخربوها (٤٠١ هـ) ؛ فعندئذ رأى واضح السلامة فى خيانة المؤيد واللحاق بالمستعين ؛ ولكن الجند الصقالبة وقفوا على نيته فى الوقت المناسب فقتلوه ؛ واستمر الصقالبة فى الدفاع عن قرطبة وعن المؤيد وعرشه ، والمستعين يحاول استمالتهم عبثاً ، واضطرمت الحرب بين الفريقين مدى حين ، وانتهت باستيلاء سليمان على قرطبة فى مناظر هائلة من السفك والعيث (٤٠٣ هـ) وانهار سلطان الصقالبة بانهيار عرش المؤيد ؛ وبدأ سلطان البربر ، واستأثروا بحكم الثغور والنواحى ، وانتثر عقد الخلافة وانقسمت الأندلس الى دويلات وإمارات صغيرة ، وبدأ عهد الطوائف

بيد أن الصقالبة لم ينسحبوا نهائياً من الميدان ، ولم يختفوا نهائياً كعامل يؤثر فى سير الحوادث فقد اجتمع فلهم حول زعيم منهم ، من صنائع الدولة العامرية ، هو خيران العامرى ؛ واستقر خيران بعصبته ومن لحق به من خصوم المستعين والبربر إلى المرية بعد أن استخلصها من يد البربر ؛ وفى الوقت نفسه عبر على بن حمود حاكم سبتة فى جيش من البربر الى الأندلس محاولا أن يشق له خلال الاضطراب طريقاً ، وتفاهم مع خيران العامرى والصقالبة وتحالفا على محاربة المستعين ، ثم زحفا بجموعهما على قرطبة ، ونشبت بين الفريقين حرب رائعة هزم فيها سليمان وأسر ثم قتل مع أفراد أسرته ؛ وجلس على بن حمود على العرش وتلقب بالمتوكل (٤٠٧ هـ) . ولجأ فى الحال الى سياسة الأرهاب والشدة ، ولم يترك أى مجال أو سلطة للصقالبة ، فسخط عليه خيران وتركه ، وأظهر الخلاف عليه . وأثار المتوكل ببطشه وشدته زعماء العرب ، واشتدت عليه النقمة ، ولم يلبث أن قتله الصقالبة فى الحمام (أواخر سنة ٤٠٧ هـ) وبذلك استطاعوا أن يؤثروا فى سير الحوادث كرة أخرى

ولما توفى المتوكل خلفه أخوه القاسم بن حمود وتلقب بالمأمون ، وعدل عن سياسة الشدة إلى اللين والمسالمة ؛ واستمال خيران العامرى الذى استعصم بالمرية ، وأقطع زميله زهيراً العامرى ولاية جيان ؛ وكانت الحوادث تتطور بسرعة ، وكان الخلاف يضطرم فيما بين آل حمود ؛ فانتهز الزعماء العرب تلك الفرصة وتفاهموا مع الصقالبة ضد آل حمود والبربر ، واستخلصوا قرطبة من يد المتغلبين عليها ؛ بيد أن نجم الصقالبة كان بدأ بالأفول ، ولم يكن يستطيع يومئذ إلا غراراً ؛ وكانت دولتهم قد انهارت فى الواقع وتفرقوا بين مختلف الصفوف والأحزاب ؛ وكانت آخر مظاهر سلطتهم أن تولوا الحجابة لادريس بن حمود الذى استقر فى مالقة وتلقب بالتأيد بالله ، فتولى حجابته نجا الصقلبى مدى حين ، ولكن دون عصبية ظاهرة

وكان هـذا آخر العهد بتدخل الصقالبة في سير الحوادث الأندلسية بصورة بارزة . ومن ذلك الحين يختفون من ميدان الشؤون الأندلسية كقوة فعالة لها أثرها الحاسم في توجيه الحوادث ، ومن ذلك الحين يبزغ نجم البربر ؛ وتتحول المعركة الداخلية الى نضال مزدوج ، نضال ملوك الطوائف فيما بين أنفسهم ، ثم نضالهم ضد العدو المشترك أعني أسبانيا النصرانية ؛ ثم يجيء دور البربر في السيادة المطلقة بسرعة ، فتنهار دول الطوائف الصغيرة تحت ضرباتهم القوية ، وتسقط الأندلس في يد المرابطين ثم يفتتحها الموحدون ، فتستمر سيادة البربر عصراً آخر ؛ ثم تنهض مملكة غرناطة في تلك الفوار والخطوب العصيبة فتسطع في الأندلس حتى يحل الصراع الأخير .

تم البحث — محمد عبد الله عنان

(النقل ممنوع)

مذاهب الفلسفة

مذهب الذرائع

PRAGMATISM

للأستاذ زكي نجيب محمود

لقد لبثت الفلسفة دهراً طويلا تسبح في سماء الفكر المجرد ، فلا تصغى بآذانها الى الحياة العملية التي تموج بأصدائها أرجاء الأرض جميعاً . ولا تحفل بالواقع الذي تراه الأبصار إلا قليلا ، فقد قصرت مجهودها — في الأعم الأغلب — على جوهر الأشياء في ذاتها ، وأخذت تسائل: ما المادة وما الروح وما مبعثهما ؟ ولكنها باءت بعد طول الكدح والعناء بالفشل والافلاس ... حتى جاء الفكر الأمريكي الحديث الذي يقدس العمل ويمقت البحث النظري المجدب العقيم ، وأراد أن ينحو بالفكر نحواً جديداً ، فلا يكون من شأنه كنه الشيء ومصدره ، بل نتيجته وعقباه . ولقد كان أول من صاغ هذا المذهب وليام جيمس (١٨٤٢ — ١٩١٠) الذي اعترف أنه قد استمد أصوله وقواعده من أشتات قديمة . وأن له فضل الصياغة والتعبير . أما رسالته التي قصد إلى أدائها بمذهبه فهي في أوجز عبارة : أن يتخذ الانسان من أفكاره وآرائه ذرائع يستعين بها على حفظ بقائه أولا ، ثم على السير بالحياة نحو السمو والكمال ثانيا

إنه لمن الغفلة والشطط أن تؤتى هذه القوة العقلية فنبددها في البحث عما وراء الطبيعة من قوى مما لا غناء فيه للانسان ولا رجاء ؛ إن العقل إنما خلق ليكون أداة للحياة ووسيلة لحفظها وكمالها ، فلينصرف الى أداء واجبه ، وليضرب في معمعان الحياة العملية الواقعة ، فليست مهمته أن يصور بريشته عالم الغيب المجهول ، الذي لا يكاد يربطه بحياة الانسان سبب من الاسباب ، وليكن مقياسه الذي يفصل به بين الحق والباطل هو مقدرة الفكرة المعينة على انجاز أغراض الانسان في حياته العملية ، فان تضاربت الآراء وتعارضت ، كان أحقها وأصدقها هو أنفعها وأجداها ، ذلك الذي تنهض التجربة العملية دليلا على فائدته . وكل شيء يؤثر في الحياة تأثيرا منتجا يجب أن يكون في اعتبارنا هو

الحقيقة ، بغض النظر عن مطابقته أو عدم مطابقته لما يخلقه الفكر المجرد من معايير ، إذ لا يُعَوَّل مذهب الذرائع إلا على النتائج وحدها ؛ فان كان الرأى مثمراً نافعاً قبلناه حقيقة ، وإلا أسقطناه من حسابنا وهما باطلا

والواقع أن معظم الناس يتبعون فى حياتهم العلمية أصول هذا المذهب ، فهم ينتقون لأنفسهم من الآراء مايعين على تحقيق أغراضهم التى يقصدون اليها ، أو ما يعمل على رقى الانسانية وتقدم البشر بصفة عامة . خذ العقيدة فى الله مثلا ، فالأكثرية العظمى تأخذ بها لا لأن الدليل قاطع بوجوده ، (فذلك أبعد عن متناول الدهماء) ولكن لأنها ترى أن هذه العقيدة تبث فى حياة الناس روحا قوية ، وتفسح أمامهم فى الأمل الجميل الذى تزدهى به الحياة وتبتسم ، والذى لولاه لضقنا ذرعاً بفداحة عبئها .. فليس منا من لايقيس الآراء بظروف عيشه ثم يختار منها أنسبها له وأنفعها فى أداء مهمته ؛ فسلوكنا العملى هو فى الواقع الذى يوجه أفكارنا ، وليست أفكارنا هى التى توجه أعمالنا . ولقد قال موسولينى يوماً إنه يدين لوليام جيمس بكثير من آرائه السياسية ، وإنه بتأثيره لا يحتكم فى سياسته الى نظريات العقل المجرد ، إنما يسلك من السبل ما يراه أقوم وأدنى انتاجا

وإن نيتشه لينهب فى هذا الاتجاه إلى أقصاه ، فيقرر أن الباطل إذا كان وسيلة ناجحة لحفظ الحياة كان خيرا من الحقيقة ؛ فبطلان الرأى لا يمنع قبوله مادام عاملا من عوامل بقاء الفرد وحفظ النوع ؛ فلرب أكذوبة أو أسطورة تدفع الحياة إلى الأمام بما تعجز عنه الحقيقة المجردة العارية . أنظر كيف تفعل الوطنية فى رأس الجندى فيطوح بنفسه بين براثن الموت ، ولو حكم عقله المجرد لما فعل ؛ بل انظر كم يبذل الآباء والأمهات من مجهود فى سبيل أبنائهم ، ولو استرشدوا العقل وحده لآثروا أشخاصهم ولضنوا على الأبناء بأى بذل أو عطاء ، ولكننا لحسن الطالع ذرائعيون بالفطرة ، فنعتنق من الآراء أحفظها للحياة ، ولولا ذلك لظلت الانسانية فى حيوانيتها الأولى لاتتقدم ولا تسير

ولا يقتصر الأمر فى ذلك على عامة الناس ، بل إن أرباب العلم أنفسهم ليأخذون بطائفة كبيرة من الآراء التى تعين على المضى فى بحثهم ، دون أن ينهض الدليل العقلى على صحة تلك الآراء التى اتخذوها أساساً لأبحاثهم ، فلا يدرى العلم ما الأثير وما الجاذبية وما المادة وما الطاقة وما الكهرباء ، ولكنه يفرضها لأنها تعينه على أداء مهمته ؛ وهذا بعينه ما يدعو اليه مذهب الذرائع ، فيكفى لأن تكون تلك الآراء صحيحة أنها توجهنا فى حياتنا توجيها صحيحا ، فلا يعنينا فى كثير أو قليل أن نعلم ما هى الكهرباء فى ذاتها ما دمنا نستطيع أن نستخدمها ، فحسبنا من معناها آثارها ، ولكن معنى الكهرباء هو ما نعمله وما تؤديه ، وعلى هذا النحو يمكننا أن نتخلص من أعوص المسائل الفكرية التى أرهقت الفلسفة بغير طائل ؛ فلندع جانبا كل بحث عن ماهية القوة أو ماهية المادة أو ماهية الله وما الى ذلك ، وحسبنا منها أن نبحث عن الآثار التى تنشأ عنها فى حياتنا اليومية العملية ، فان لم يكن لها آثار فيما نصادف من تجارب وجب اعتبارها ألفاظا جوفاء لا تحمل من المعنى شيئاً

وهكذا يريد مذهب الذرائع أن تكون كل فكرة وسيلة لسلوك عملى معين ، أعنى أن تكون الفكرة تصميما لعمل يقوم به الانسان ، أو لا تكون على الاطلاق ؛ فالفكرة التى تحيا فى الذهن وحده ليست جديرة بهذا الاسم ، ولا خير فيها إلا ان كانت مرشدا للانسان فى حياته وسلوكه ، فيكون مثلها مثل اللون الأحمر أو الأخضر على السكة الحديدية يراها سائق القطار فيوجهان تصرفه توجيها معينا ، أو كالعلامات للموسيقية كل قيمتها فى توجيه حركات الموسيقىّ ، فان لم تفد ذلك كانت عبثا صبيانيا لا يعنى شيئاً ؛ فيجب على هذا الأساس أن تكون كل فكرة فى أذهاننا مرشداً عملياً يرسم لنا سلوكنا ويضع لنا القواعد التى ينبغى أن نسير على مقتضاها فى حياتنا اليومية . أو بمعنى آخر تكون أساساً لعادة معينة . ففكرة الجاذبية مثلا معناها محصور فى تكوين عادات معينة أستعين بها فى سلوكى ، فأعرف كيف أنظم علاقاتى بالأشياء تنظيما ملائما ، فأحمل كوب الماء مثلا وفمه الى أعلى حتى لا ينسكب الماء بفعل الجاذبية ؛ وأمشى معتدل القامة خشية السقوط بفعل الجاذبية ، وأشيد مسكنى مستقيم الجدر لئلا ينهار بفعل الجاذبية ، وهلم جرا . أما إن كانت حياتى لا تتأثر بهذه الفكرة ، وكنت لا أصادف لها آثارا فيما أصادف من تجارب ، كانت فى اعتبارى وهما وخطأ ، بغض النظر عن حقيقة وجودها فى العالم الخارجى أو عدم وجودها ؛ فالرأى الصحيح هو ما ييسر لى سبيل الحياة ويعمل على توفيقها

ونجاحها ، والرأى الخاطئ هو ما يفعل عكس ذلك ، أو ما لا أرى له أثراً فى الحياة

وظاهر أن نظرية التطور تؤيد هذا المذهب وتدعمه ، لأن العقل عندها ليس إلا عضواً كسائر الأعضاء يتذرع به الانسان فى تنازع البقاء ، وأنه لو لم يكن العقل أداة من أدوات البقاء لما وجد أصلا ؛ وإذن فالفكرة التى تنشأ فيه لا تكون صادقة بمقدار مماثلتها للحقيقة الواقعة فى الخارج ، كلا ، بل مقياس صدقها هو فى مقدرتها على إجابة الظروف المحيطة بنا على النحو الذى يمكن لنا فى البقاء . ولتوضيح ذلك نقول إنه من المعلوم أن الأشياء الخارجية فى ذاتها ليس لها ألوان ، إنما الألوان من صنع أعيننا ، ولكنى ما دمت أستطيع بفكرة اللون التى فى ذهنى (وإن لم تكن موجودة فى الخارج) أن أميز الأشياء فأعرف التفاحة الناضجة مثلا باحمرارها ؛ والفجة باخضرارها ، ففكرة اللون صحيحة صادقة . كذلك قل فى الصوت ، فليس للأصوات وجود فى الخارج ، إنما هى أمواج تقصر حينا وتطول حينا ، حتى إذا ماقرعت الأذن ، ترجمتها هذه بما نعهد من أصوات ، ولكن ماذا يعنينى من عدم مماثلة فكرة الصوت فى ذهنى للأمواج الخارجية فى الهواء ، ما دمت أعرف أن هذا الصوت المعين يدل على سيارة قادمة فأنجو بحياتى من الخطر ؟ إن فكرة الصوت حقيقية ما دامت تعمل على نجاح الحياة وبقائها ... إن الحياة كما يعرفها سبنسر هى ملاءمة حالات الانسان الداخلية بالظروف الخارجية ، وإذن فالعقل الصالح للحياة هو ذلك الذى يدرك اختلاف الظروف الخارجية لنعدل من سلوكنا بما يلائم الموقف الجديد ، وليس يعنينا بعد ذلك فى كثير ولا قليل أن تكون الصورة الذهنية التى رسمها لنا العقل من الأشياء الخارجية ، مطابقة لأصلها أو مشوهة محرفة ، فالحقيقة العليا فى الوجود هى الاحتفاظ بالبقاء أولا ، ثم الارتفاع بالحياة نحو الكمال . فكل ما يؤدى الى ذلك هو حق صريح . وفى ذلك يقول « ديوى » العالم الامريكى المعروف : إن الفكر أداة لترقية الحياة وليس وسيلة الى معرفة الأشياء فى ذاتها . ويقول « شلر » : إن الحقيقة هى ما تخدم الانسان وحده . .وكلا الرجلين من دعاة هذا المذهب

ونحن نجمل فيما يلى ثلاثة الشروط التى يضعها مذهب الذرائع لصدق فكرة ما :

١ — فأولا يجب أن يكون للفكرة قيمة فورية Cash-value ، ومعناها أن الانسان يجب أن يشاهد صحة رأيه أو خطأه فى تجربته العملية ، فان جاءت هذه التجربة العملية موافقة للفكرة كانت الفكرة صحيحة وإلا فهى خاطئة

٢ — وثانياً أن تكون الفكرة منسجمة مع سائر أفكارى وآرائى . فلا يكفى أن تكون كل فكرة صحيحة على حدة بالنسبة لقيمتها الفورية ، ولكنها يجب كذلك ألا تناقض الأفكار الأخرى . فلا يجوز مثلا أن أفرض نوعا من الذرات فى علم الطبيعة ، ثم أفرض نوعا آخر منها فى علم الكيمياء ، حتى ولو كان كل منهما صحيحا فى ميدانه الخاص — فاذا وجدنا أمامنا فكرتين عن شىء ما ، كل منهما صحيح بالنسبة لقيمته الفورية ، وجب أن نختار إحداها على أساس البساطة ، فأبسط الفكرتين أصحهما ؛ فمثلا لما أتى كوبرنيك برأيه الجديد عن الكون يعارض به رأى بطليموس القديم ، كانت كلتا الفكرتين صادقة إذا قيستا إلى ما ينجم عنهما من النتائج العملية فى حياة الناس ، ولكن ما دامت فكرة كوبرنيك أقل تعقيداً من الأولى ، كان لزاما أن يقع عليها اختيارنا

٣ — ولا بد للفكرة بعد هذا وهذا أن تطمئن لها نفس الانسان وترضى ما دام ذلك لا يتعارض مع القيمة العملية . فالعقيدة الدينية مثلا ، على الرغم من أن ليس لها قيمة فورية فى حياتنا إلا بمقدار ضئيل ، إلا أنها واجبة ، لأنها تخلع على حياتى صبغة من التفاؤل ، وهى فى الوقت نفسه تنسجم مع الأفكار الأخرى ولا تتعارض معها . ومعنى ذلك أنه اذا تساوت ظروف فكرتين ، ثم كانت إحداهما تبعث التفاؤل والأخرى تبعث التشاؤم ، كانت الأولى بالنسبة لنا أصدق وأصح . فالمؤمن والملحد كلاهما لا تؤثر عقيدته فى شؤون حياته ؛ ولكن الأول متفائل يرجو الآخرة ، والثانى متشائم لا يرجو شيئا ؛ إذن فالايمان أصدق من الالحاد وأحق ، لأنه أجدى على الانسان وأنفع

تلك هى الحقيقة فى عرف هذا المذهب ؛ ولقد يعترض بحق أنها قد تؤدى الى التنافر بين الناس ، والى عدم انسجامهم فى سلك المجتمع ، لأن كل فرد سيتلمس لنفسه الرأى الذى ينفعه بغض النظر عما يتخذه سواه من آراء ؛ وإذن ففلسفة الانسان ستعتمد على

مزاجه وظروفه ، ولكننا نسارع فنقول إن مذهب الذرائع قد أحس فى نفسه بهذا النقص ، فحاول أن يوفق بين قواعده وبين مصلحة الجماعة لا الفرد ، فقرر أن الرأى الصحيح هو الذى يكون له فائدة عملية لأكبر عدد ممكن من الناس ، بل ويحسن أن تشمل نتائجه النافعة الانسانية بأسرها ، وإذن فلا ينبغى أن نحكم على رأى بالصواب أو بالخطأ إلا بعد تجربة اجتماعية طويلة الأمد . ولكن يؤخذ على مذهب الذرائع وجوه أخرى من النقص نرجو أن نعرضها فى مقال تال

زكى نجيب محمود

قصــــة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكى

وكيل كلية العلوم

كوخ KOCH

رابع غزاة المكروب

طبيب القرية الذى ضجر بالطب لجهله أسباب الداء ثم ادعائه علاجه ؛ الذى شغله البحث فى أصول الأمراض عن مداواة أربابها ؛ الذى حقق أحلام بستور وأثبت أن المكروب يتبع الأمراض ، وأن لكل مرض مكروباً يخصه ، ويخصه وحده ؛ الذى علم الدنيا كيف تصطاد النوع الواحد من المكروبات ، وتصطاده خالصاً خالياً من الأخلاط ؛ الذى كشف مكروب الجمرة الخبيثة ، قاتلة الماشية والانسان ، ومكروب السل قاتل الانسان والحيوان ؛ الرجل الذى كشف مكروب الكوليرا على أرض مصر فى أجسام ضحاياها . البطل الذى نزل بساحات الموت فأظله فيها أرفع بنوده ، وقاتله على أرضها أفتك جنوده ، فأسر منها على هواه ، وخرج عنها سالماً قد أخطأته سهامها قضاء وقدراً

المترجم

— ٣ —

كان كوخ مستقر النفس ، بارد العاطفة ؛ فلما نجا من هذه المخاطر بسلام ، وأصاب بها ما أصاب من نجاح ، لم يَدُرْ بخلده أنه أصبح فى عداد الأبطال ، ولم يخطر بباله أن ينشر أبحاثه فى الناس . واليوم إذا أنجز الرجل الباحث عملا بارعاً كهذا ، وكشف عن أسرار لها مثل هذه الخطورة ، استحال عليه أن يُعقد لسانه فلا يتحدث بها

وظل يسخّر نفسه فى العمل تسخيراً ، ويذلها فيه تذليلا ، وهو فى ذلك ساكت صامت ، حتى ليكاد المرء يتهم هذا الطبيب الريفىّ الألمانى العبقرىّ بأنه لم يدرك مقدار الجمال والخطر الذى كان فى تلك التجارب التى أجراها وحيداً فى عزلته وانزوائه

ثم تابع العمل وصابره ، فلا بد له أن يعلم فوق الذى علمه ؛ فأخذ يحقن الخنازير الغينية والأرانب ، والشياه أخيراً ، بذلك السائل ذى الظهر الطاهر والخبر القاتل من قطراته العالقة . ولم تكد تدخل هذه الآلاف القليلة من المكروب إلى دم هذه الحيوانات حتى يتضاعف عددها بلايين المرات بسرعة واحدة ، وبفظاعة واحدة ، فى الفأر الصغير والشاة الكبيرة على السواء ؛ ولا تمضى ساعات حتى تعج بها أنسجة كانت سليمة تزدحم فى الشرايين الصغيرة والأوردة الرفيعة حتى تختنق بها ، وحتى يستحيل الدم الأحمر القانى إلى دم رهيب أسود — فتنفُق الشياه ، وتفنى الخنازير والأرانب

كان كوخ فى الأطباء واحداً من سوادٍ كثير ، فلم يكن له اسم ، ولم يكن لحاله ذكر ، ولكنه فارق هذا السواد بغتة ، وارتفع مُصعِداً إلى صفوف الأمجاد الخالدين من الباحثين ؛ وكان كلما مهر فى اصطياد المكروب ساءت عنايته بمرضاه بقدر ذلك ؛ صاحت أطفالٌ رُضّعٌ فى ضِياع بعيدة ، ولكن الطبيب لم يحضر ؛ واحتدّ الألم فى أضراس فلاحين ، فاصطبروا على أوجاعهم ساعات مُضنيات ، ولكن دون جدوى ؛ واضطُرّ كوخ أخيراً أن يحول نصيباً من مرضاه على طبيب آخر ؛ وقل حظ زوجته من رؤيته وزاد همها ، وودّت اليه ألا يخرج إلى مرضاه وبه رائحة كيميائياته وحيواناته . أما هو فلم تصله شكوى زوجه ، ولا صوت مرضاه ، فلو أنهم وهم القريبون منه صاحوا له من وراء النصف الأبعد للقمر ما زادوا ولا نقصوا فى اسماعهم اياه — ذلك أن قضية خفية جديدة ساورت رأسه ، وملكت لبه ، وأسهرته الليالى ، قال لنفسه :

هذه البشلات تموت وشيكا على قطعة الزجاج تحت المجهر ،

فأنَّى لها وهى بهذا الضعف أن تنتقل فى الطبيعة من حيوان مريض بالجرة إلى حيوان جدّ سليم ؟

وكان فلاحو أوربا والبيطريون فيها يؤمنون بخرافات غريبة عن أسباب هذا المرض ، وعن تلك القوة الخفية لهذا الوباء ، وقد أصليت كالسيف فوق رقاب أغنامهم وأبقارهم لا يدرون متى يهبط عليها بالقتل المروع الذريع . أما هذه البشلات الصغيرة الضئيلة التى لا يبلغ طول الواحدة منها جزءاً من ألف من المليمتر ، فلن يتصور عاقل أنها سبب هذا المرض الفظيع

قال البقارون والغنامون لكوخ : « ياسيدنا الدكتور ، هب أن مكروباتك الصغيرة تقتل أبقارنا وأغنامنا ، فقل لنا بالله إن كان هذا حقاً ، كيف أن القطيع يكون سليما فى مرتع ، يأكل ويشرب ، ويثب ويلعب ، فاذا نقلناه إلى مرتع آخر ، كثير العشب ، وافر النعمة ، امتنع أكله ، وذهب لعبه ، وتساقطت وحداته ، وماتت سريعاً كأنها الذباب »

كان كوخ يعلم أن هذه الوقائع حقا لا كذب فيها ، كان يعلم أن فى أوڤرن Auvergne بفرنسا جبالاً خضراء لا تذهب اليها قطعان الأغنام حتى يأخذها الموت واحدة واحدة ، أو عشرة عشرة ، حتى ومائة مائة ، بسبب هذا الداء الأسود داء الجرة ؛ واجتمع الفلاحون حول نيرانهم فى ليالى الشتاء الباردة وأخذوا يتهامسون : « إن حقولنا ملعونة مسكونة »

وحار كوخ فى أمره ـ وكيف تقوى هذه البشلات الدقيقة على العيش سنوات عديدة فى مثل هذا الشتاء ، فوق هذه الحقول ، وعلى تلك الجبال ؟ كيف يكون هذا ؟ وهو حين أخذ شيئاً من طحال فأر وبىء ، ونشره على شريحة من الزجاج ، وأخذ ينظر اليه من المجهر ، وجد المكروب قد عجز عن الحياة ، فانبهمت حدوده ، وانتثر جرمه ، واختفت صورته اختفاء ؛ ثم كيف يكون ، وهو لما وضع من بعد هذا على المكروب فوق شريحة الزجاج سائلا من عين ثور ، وهو نعم الغذاء الطيب ، لم ينم المكروب ، لم يتكاثر ، وهل تتكاثر الأموات ؟ ثم هو لما جفف هذا الدم الوبىء ، وحقنه فى فئران ، ظلت فى أقفاصها تلهو وتمرح ناعمة بالحياة ؛ إذن هذه المكروبات ماتت ؛ ثم ماتت هذه المكروبات التى كانت تقتل الشاة السمينة والبقرة الضخمة الكبيرة على السواء

وتساءل كوخ : « هذه المكروبات تموت على زجاجاتى النظيفة اللامعة فى يومين اثنين ، فكيف استطاعت أن تواصل الحياة على الحقول زماناً طويلا ؟ »

وذات يوم وقع بصره على حَدَث غريب تحت مجهره ـ تحول عجيب أدّى به إلى حل الطلسم الذى أعجزه . وجلس كوخ على كرسيه بعمله الصغير فى بروسيا الشرقية وكشف السر المخبوء فى حقول فرنسا وجبالها ؛ وحكاية ذلك أنه جاء بقطرة من قطراته العالقة ، وهى حبيسةٌ فى نقرتها الضيقة من شريحة الزجاج ، وتركها فى مدفأ درجة حرارته كدرجة جسم الفأر ، وخلفها هناك أربعا وعشرين ساعة ، فلما عاد قال : « لابد أن يكون المكروب قد نما فى القطرة واستطال خيوطاً طويلة كطول تلك التى تنمو فى أجسام الفئران » . ونظر فى المكرسكوب فوجد غير الذى أمّله . وجد أن الخيوط بعد أن استكملت طولها ، أخذت حدودها تنبهم ، وتنقط الخيط بأجسام بيضاوية لمت كحبات الزجاج ، وانتظمت على طوله كعقد اللؤلؤ ، برَق واستقام

استاء كوخ أول الأمر ، فسخط ولعن ، وحسب أن غريباً من المكروب دخل إلى مكروبه فأفسده ، ولكنه لما أعاد النظرة وجد حُسبانه الأول خاطئاً ، فالحبات اللامعة كانت فى داخل خيوط المكروب ، وهذه الخيوط نفسها هى التى تحولت إلى تلك الحبات . وجفف كوخ قطرته العالقة ، وحفظ ما بقى منها على الزجاج شهراً أو بعض شهر . ثم شاء القدر أن يعود فينظر اليها من خلال عدسته ، فوجد العقود لا تزال على لمانها ؛ فخطر له أن يجرى شيئاً من التجارب عليها . فأتى بقطرة صافية من عين ثور ، فأسقطها على تلك المكروبات التى استحالت عقودا ، وأخذ ينظر اليها فاذا بالحبّات تنمو فتصير إلى بشلات ، ثم إلى خيوط طويلة مرة أخرى . عام رأس كوخ اختلاطا واندهاشاً

قال : « إن هذه الحبات البارقة الغريبة قد عادت فاستحالت بشلات تارة أخرى ، فهذه بذور المكروب ، صوره الأمتن التى تصمد للحر الشديد والبرد القارص والجفاف القاتل ...... لا بد

أن المكروب على هذه الصورة يستطيع البقاء طويلا فى الحقول ، لا بد أن البثلات تستحيل إلى هذه البذور »

وقام كوخ عندئذ بجملة من التجارب الدقيقة البارعة ، أجراها ليمتحن صحة ظنه فى هذه البذور ، فاستخرج طحالات من فئران مجورة ، استخرجها الآن بحذق ظاهر بعد الخبرة والمران ، ورفع هذه الأطحلة ، وفيها الموت ، على مشارط وعلاقط طهرت فى النار ، واحتاط ما استطاع الحيطة ألا تمسها مكروبات من التى تسبح على ضلال فى الهواء ، وحفظها يوماً فى درجة حرارة كالتى لجسم الفأر . فلم يكذب ظنه ، فخيوط المكروب استحالت الى حبات من البذور بارقة كالزجاج ، وتلا هذه بتجارب عديدة حبسته طويلا فى حجرته الصغيرة القذرة ، خرج منها على أن هذه البذور تبقى حية أشهراً كثيرة ، وأنها من بعد ذلك تنقض على التو عن تلك البثلات القاتلة إذا هى وضعت فى قطرة من سائل عين ثور ، أو إذا هى أدخلت على فلقة خشب فى قاعدة ذنب فأر

قال كوخ : «إن هذه البزور لا تتكون فى حيوان وهو حى أبدا ، وانما تظهر فيه بعد وفاته إذا احتُفظ بجسمه حارا » . وأثبت ذلك اثباتاً جميلا بأن وضع أطحلة وبيئة فى ثلاجة ، ثم عاد اليها بعد أيام فأخذ منها وحقن الفئران ، فلم يصبها سوء ، فكأنما حقن فيها لحماً طازجاً سليما

وكان العام عام ١٨٧٦ ، وكان كوخ قد بلغ الرابعة والثلاثين فخرج لأول مرة من عُشّه ، من قرية فُلِشْتَيْن Wollsttein ليخبر الدنيا فى شىء من الفأفأة ، أنه قد ثبت ثبوتاً قاطعاً بعد طول الشك أن المكروبات أسباب الأدواء . لبس كوخ أنفر ثيابه ، ووضع على عينيه نظاراته وقد تأطر الذهب حولها ، وحزم مجهره ، وعدداً من القطرات العالقة فى محابسها من الزجاج وقد تنفشت عكروب الجمرة القاتل ، وأضاف إلى متاعه قفصاً أخذ يهتز بمضع عشرات من الفئران البيض الصحيحة ، وركب القطار ووجهته بلدة برسلاوة Breslau ليعرض فيها مكروب الجمرة الذى كشفه ، وليبين للأشهاد كيف يقتل هذا المكروب فئرانه ، وكيف أنه يستحيل تلك الاستحالة الغريبة فيصير عقوداً كالسُّبَح ــ وأراد بخاصة أن يطلع الأستاذ كُون Cohn على كل

هذا ، وهو أستاذ النبات بجامعة برسلاوة ، وكان يكتب أحياناً الى كوخ مشجعاً حامداً

أعجب الأستاذ كون بتجارب كوخ التى أجراها وحيداً لا يسمع به أحد ، وعلم أنها ذات خطر كبير لم يفطن له كوخ نفسه ، وتصور فى ابتسام وخبث ما يكون من أثرها فى نفوس جهابذة الجامعة وأعلامها ، وهم ما هم من رفعة القدر وشيوع الذكر ، وكوخ هو ما هو من الضعة والخمول ، فبعث اليهم يدعوهم لحضور الليلة الأولى للمعرض الذى يقيمه طبيب القرية الصغير

— ٤ —

ولبوا الدعوة ، نعم لبوها ليستمعوا إلى هذا الذى جاء من أقصى الريف يحدثهم عن العلم ؛ ولعلهم جاءوا رعاية لحرمة الأستاذ الشيخ كون . ولقيهم كوخ ، ولم يحاضرهم فى الذى أتى له ، فلم يكن قط ممن يحسن صناعة الكلام . انعقد لسانه ، ولكن يده انطلقت ثلاثة أيام ولياليها ترى هؤلاء السفسطائيين ما كان من أبحاثه طوال تلك السنين ، وما كان فيها من تلمس فى الظلام ، وتحسس فى دياجير المجهول ، وما كان فيها من عثرات تبعتها نهضات ، ومن نهضات تلتها عثرات ؛ فلم ينزل أحد من كبريائه ، ولم يهدئ من ادعائه ، نزولَ هؤلاء الجهابذة وهدوءهم ، وقد كانوا أتوا فى كثرتهم يستمعون لرجلنا القليل ، وقد كانوا طامنوا أنفسهم على التسامح ، وألا يأخذوا عليه المآخذ ، بل يدعونه يُرسل القول ارسالا ، فما عند مثله يطلب الجدل ، ولا ان هم فى منزلته يثار النقاش . ولم يجادل كوخ قط ولم يتفيهق قط ، ولم يحلم الأحلام ، ولم ينطق عند الغد بصنوف النبوءات ، وإنما ظل يضرب فِلَق الخشب فى ذيول الفئران فكانت كالسهام سرعة ودقة ، وفتح أساتذة البثلجة Pathology[1] عيونهم وسعها لما رأوه يتناول تلك البثلات والبزور والمكرسكوب بيد صَناع لا تكون لعالم إلا فى ستينه . كان انتصاراً رائعاً روعة الصباح الضاحى

وكان من بين هؤلاء الأساتذة الأستاذ كون هايم Cohnheim وكان من أمهر علماء أوربا فى دراسة الأمراض ، فلم يستطع صبرا على الذى سمع ورأى ، وخرج ثائراً من صالة العرض وذهب إلى

(١) علم الأمراض

معمله واندفع على التو الى حيث يعمل الشباب من مساعديه فى أبحاثه ، فصاح فيهم : « أبنائى ، دعوا ما بأيديكم وانصرفوا فاستمعوا الى الدكتور كوخ ، فان هذا الرجل كشف كشفاً عظيما » واسترجع الأستاذ أنفاسه

قال الطلاب : « ولكن ياسيدنا الأستاذ مَنْ كوخ هذا فما لنا به من علم ؟ »

قال الأستاذ : « مهما يكن من أمره ، فالكشف الذى أتاه عظيم ، كشفٌ غايةٌ فى الدقة ، غايةٌ فى البساطة ، غايةٌ فى العجب . وكوخ هذا ليس أستاذاً ... ولم يتعلم قط كيف يجرى الأبحاث ... وإنما تعلمه من ذات نفسه ، وصنع كل ما صنع بجهوده وحده »

قال الطلاب : « ولكن ما هذا الكشف ياسيدنا الأستاذ ؟ »

قال الأستاذ : « أقول لكم اذهبوا ، واذهبوا جميعاً ، وانظروا بأعينكم ، واسمعوا بآذانكم ، فانه عالم الله أخطر كشف فى عالم المكروب ... كشف تتضاءل جميعاً إلى جانبه .... اذهبوا . اذهبوا .. »

ولم يتم الأستاذ قوله إلى تلاميذه حتى كانوا قد خرجوا من الباب واختفوا عن بصره فلم يسمعوا آخر نبراته ، وكان من بينهم بول إرليس Paul Ehrlich (١)

قال بستور قبل هذا اليوم بسبع سنوات : « إن الانسان فى مقدوره محو الأمراض المعدية من على ظهر البسيطة » ؟ وعندئذ قال أحكم أطباء ذلك العصر : « إنه رجل مأفون » ؟ ولكن فى هذه الليلة خطا كوخ بالدنيا أول خطوة فى تأويل الحلم الذى ارتآه بستور . وختم كوخ حديثه الى الأساتذة الأمجاد قال : « إن أنسجة الحيوانات التى تموت بداء الجمرة لا تعدى بهذا الداء إلا إذا هى حملت بشلاته أو بزور هذه البشلات ، سواء أكانت هذه الأنسجة صابحة أو فاسدة ، متعفنة أو جفت أو مضى عليها عام . وفى وجه هذه الحقيقة يجب أن يزول كل ظلٍّ من شك فى أن هذه البشلات هى سبب هذا الداء » ختم حديثه الى الأساتذة بهذا القول حتى لكأن تجاربه التى أراها اياهم لم يكن بها كفاية من اقناع ؛ وزاد على ما قال بأن أبان لسامعيه ، وقد أخذتهم الدهشة ، طريقاً لمكافحة هذا الوباء ، طريقاً أرته تجاربه اياه لمحو هذا الداء ، قال : « إن كل حيوان يموت بالجمرة يجب اعدام جثته فى الحال ، فاذا لم يكن فى الامكان حرقها ، فلا أقل من دفنها عميقة فى الأرض حيث البرودة شديدة فلا تأذن للبشلات أن تستحيل الى بزور تقاوم شدة الحياة وجبروتها طويلا ...... »

وهكذا علم كوخ الناس فى هذه الثلاثة الأيام كيف يبدأون فى محاربة المكروب ويدفعون عن أنفسهم أسباب المهالك التى تكمن لهم خفية فى الظلام ؛ وهكذا بدأ فى حمله الأطباء على الاقلاع عن اللعب الهازل بالحبوب والعلق فى مداومة الأدواء ، واحلال العلم والمنطق محل السحر والخرافات

وقع كوخ بذهابه الى مدينة برسلاوة فى زمرة من رجال أمناء كرماء مخلصين ، بذلوا له من صداقتهم ومن عونهم الشيء الكثير ، نخص بالذكر منهم الأستاذين كون Cohn وكون هايم Cohnheim ، ذلك لأنهما أولا لم يسرقا أبحاثه ، ولصوص العلم ليسوا أقل عددا من اللصوص فى مناشط الحياة الأخرى . وثانياً لأنهما سبّحا له وهتفا هُتافاً ترددُ أصداؤه فى أوربا ، حتى لأوجس بستور خيفة على مكانه سيدا لبُحّاث المكروب ، وأخذ هذان الرجلان يرسلان الكتاب تلو الكتاب الى مصلحة الصحة الامبراطورية ببرلين يعرفانها بأمر هذا الرجل الجديد ، مفخرة ألمانيا ؛ وصنعا ما صنعا لتمكناه من ترك عيادته ، وهى لا تكسبه غير البلادة ، وتيسير الرزق والمال له ليفرغ لدرس المكروب ودفع أدوائه . ومن يدرى ماذا يكون من أمر كوخ لو أنه جاء برسلاوة فلم يجد بها غير الزجر والمهانة والصدود ، إذن لعاد الى قريته واكتفى بمعاودة صناعته من جس النبض والنظر فى ألسنة المرضى ، ولما كان من أمره الذى كان . إن رجل العلم لا ينجح إلا أن يكون فيه بعض خُلُق الدلالين وأرباب المعارض ـ وهكذا كان اسبانزانى الفخم العظيم ، وهكذا كان بستور الحماس الصخاب ـ وإلا أن يكون له من أرباب الجاه وذوى السلطان من يحميه بجاهه ، ويدفعه ويزجه فى معترك الحياة ؟

يتبع

أحمد زكى

(١) هو العالم المكروبى الشهير ، وسنترجم له

نظرية النسبية الخصوصية

البحث الأول

الزمان ونسبيته

للدكتور اسماعيل أحمد أدهم

عضو أكاديمية العلوم الروسية

— ١ —

لنتصور قطاراً يتحرك من محطة القاهرة الساعة الثامنة ، فما معنى تحركه الساعة الثامنة ؟ لا خلاف في أن معناه أن آونة تحرك القطار وحادثة وقوف العقرب الكبير في الساعة على الرقم « ١٢ » والصغير على الرقم « ٨ » متوافقان

ولقد يجول بخاطر الكثيرين أن في هذا البيان الكشف عن حقيقة الزمان . وهذا ظن صحيح فيه من الوثوق الشيء الكثير لو كان العالم كله الساعة وما حولها . ولكن مثل هذه الفكرة هل تنطبق على حادثتين : الأولى حدثت في مكان قصي عن مكان الأخرى ؟ فمثلا لو فرضنا حادثة مثل الحادثة « ا » حدثت في الشمس ، وحادثة أخرى مثل الحادثة « ب » حدثت على الأرض ؛ فهل في الامكان النظر في تواقتهما ؟

إن الاجابة على مثل هذه الأسئلة تتطلب منا أن نذكر أن مسألة التواقت مسألة ترجع لتساوي سير حركة الساعات في مختلف الأمكنة ، وهذا الأمر يرجعنا الى واسطة التعيين

لنفرض كرة مثل « ل » بها نقطتان ثابتتان ، الأولى « ا » والثانية « ب » ، وبكل نقطة من هاتين النقطتين توجد ساعة ، ولنرمز لساعة النقطة الأولى بالرمز « س١ » ، ولساعة النقطة الثانية بالرمز « سب » ، ولنفرض أن المسافة بين هاتين النقطتين هي « م » ؛ فلكي نوحّد سير الساعتين نجد أمامنا إحدى طريقتين نسلك إحداهما لتوحيد سير ساعتي النقطتين : الطريقة الأولى تنحصر في نقل الساعة « س١ » والساعة « سب » إلى مكان واحد ، ثم ضبطهما هنالك على زمان واحد ، ثم اعادة كل ساعة الى المكان الأول . والطريقة الثانية تستند على إشارة ضوئية من النقطة « ا » الى « ب » مثلا ، فتضبط بناء عليها الساعة « سب » زمانها حسب زمان الساعة « س١ »

وهاتان الطريقتان لا زالتا مستعملتين إلى يومنا الحاضر في حياتنا العملية ؛ فالسفن تتبع الطريقة الأولى عندما تضبط وقت ساعاتها حسب أزمنة الموانئ التي ترسو عليها ؛ وتتبع الطريقة الثانية بمراجعتها أزمنة ساعاتها وكرونومتراتها خلال سيرها بإشارات التليفون اللاسلكي لتصحح الفروق الناشئة في الزمن من اختلاف خطوط الطول والعرض على سطح الكرة الأرضية . ويمكننا استناداً إلى هذه الظاهرة تقرير اختلاف الزمان ؛ غير أن هذا التقرير لا تكون له قيمة علمية إلا بعد تعميمه على الأكوان

فلنفرض في كون مثل « ل » ساعة مثل « س » ، فهل في الامكان جعل ساعتين مثل « س١ » و « س٢ » في كونين مثل « ل١ » و « ل٢ » تتحركان حركة انتقالية مستقيمة متساوية في الزمان مع زمان الكون « ل » ؟

الاجابة عن هذه المسألة خارجة عن نطاق علم الطبيعة (Physics) مادامت هذه الأكوان يتحرك بعضها إزاء بعض حركات انتقالية ؛ ومهما كانت هذه الفروق المتولدة من هذه الحركات ضئيلة فمسألة تساوي الزمان في هذه الأكوان أو عدم تساويه لا يمكن معرفتها إلا بالرجوع الى الاشارات الضوئية . والاستناد على الأمواج النورية في تقرير تواقت الزمان قائم على ثبات سرعة النور ، وهي وإن كانت سرعة محدودة إلا أنها سرعة فوق كل سرعة

وقضية ثبات سرعة النور تجرنا إلى معرفة حركات الأكوان المطلقة خلال الفضاء الأثيري

بيان : اختصرت هذا البحث من كتابي :

Die Grundlangen der Relativitaetsthearie; Leipzig. 1934 ، الذي أحاول نقله مختصراً إلى العربية تحت عنوان : « نظرية النسبية وقيمتها العلمية » وقد أوشكت على الانتهاء من جزئه الأول في ٢٨٠ صفحة ، وسيقدم إلى الطبع عن قريب . ومقال اليوم أول أربع مقالات ستليه :

١ : وحدة قوانين الطبيعة والبعد الرابع في النسبية

٢ : مبادئ الميكانيكا الحديثة

٣ : مبادئ الديناميكا الجديدة

٤ : كون مينتو فسكي والفاصلات الفراغية والزمانية

وستكون هذه المقالات الخمس زبدة النسبية الخصوصية

اذا أرسلنا شعاعة نور فى اتجاه سرعة الأرض فستكون سرعة هذه الشعاعة بالنسبة للشاهد الذى أرسلها من فوق الأرض :

« ٣٠٠,٠٠٠ كم — سرعة الأرض فى الفضاء الأثيرى »

وفى حالة ارسال شعاعة النور فى عكس اتجاه سرعة الأرض فستكون سرعة الشعاعة متضخمة بسرعة الأرض بالنسبة لمرسلها

« ٣٠٠,٠٠٠ كم + سرعة الأرض فى الفضاء الأثيرى »

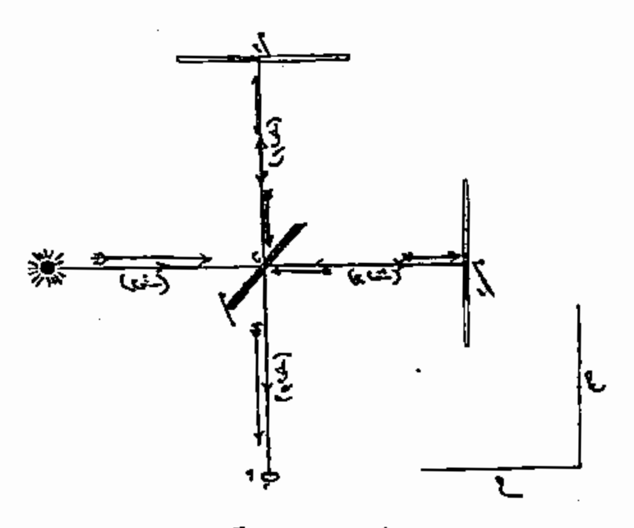
وكل التجارب التى أجريت فى هذا الصدد أسفرت عن نتيجة سلبية

— ٢ —

لنفرض شعاعة نور مثل « س » تقع على مرآة نرمز لها بالرمز « م » ، وهذه المرآة نصف عاكسة ، فتنشق شعاعة النور « س » شعاعتين : المعكوسة « س١ » والمكسورة « س٢ » ؛ وقد وضعت المرآة « م » بالنسبة لاتجاه الشعاعة « س » بحيث تجعل الشعاعتين « س١ » و « س٢ » متعامدتين إحداهما على الأخرى ؛ ولنفرض أنه قد وضعت فى خط سير هاتين الشعاعتين وعلى بعد ثابت من المرآة « م » مرآتان أخريان ، الأولى « م١ » والثانية « م٢ » بحيث تردّان الشعاعتين « س١ » و « س٢ » إلى المرآة « م » ؛ وهنالك عند التقائهما ثانية تعكسان عكساً نصفياً فيتحد الجزء المعكوس من الشعاعة « س٢ » مع الجزء المكسور من الشعاعة « س١ » فى الشعاعة الأخيرة « س٣ » ، فاذا ما سارت الشعاعتان مسافة واحدة من نقطة افتراقهما إلى نقطة التقائهما ثانية : أعنى إذا كانت المسافة من « م » الى « م٢ » تعادل المسافة من « م » الى « م١ » تعادلا تاماً ، فانك إذا ما وضعت عينيك فى الوضع « د » شاهدت الشعاعة « س٣ » كاملة لا نقص فيها ؛ أما إذا كانت المسافة « م — م١ » تنقص أو تزيد على المسافة « م — م٢ » عما يعادل نصف موجة النور أو حاصلا صحيحاً لنصف موجة النور ، فان الشعاعتين تكونان قد ساوتا منذ انفراجهما إلى اتحادهما ثانية غير متعادلتين ، فينجم عن ذلك تداخل نورى بين حركة الموجتين يشف عن نظام تداخلى يتظاهر فى شكل حلقات من النور والظلمة (١)

ولو فرض وأزحنا « م١ » أو « م٢ » قليلاً بمعنى أننا غيرنا تعادل المسافتين « م — م١ » و « م — م٢ » ألفينا هذه الحلقات تتحرك ، أو قل تتقلص شيئاً فشيئاً إلى أن تختفى فى الوسط المشترك بينهما ، ثم تظهر حلقات جديدة من خارج النظام ، ويكون عدد ما يختفى معادلا عدد ما يظهر من الحلقات ؛ ومن مقدار تغير « م — م١ » أو « م — م٢ » تستطيع حساب الحلقات الواجب اختفاؤها على هذا المنوال . لهذا لو كان هنالك راصد مشاهد لهذا النظام ، وطفقت حلقاته تتقلص بغتة ، أمكنك أن تحكم يقيناً إن كانت المسافة « م — م١ » أو « م — م٢ » قد شرعت فى التغير ؛ وإذا حسبت عدد الحلقات المختفية استطعت التنبؤ بمقدار تغير المسافتين

أجرى (١) الدكتور ميكلصون Michelson ، والأستاذ مورلى Morley تجربتهما بحيث كانت حركة الشعاعة موازية لحركة الأرض « ع » حول محورها مثلاً ، أى وضعت « م١ » بحيث تكون المسافة « م — م١ » ممتدة شرقا غربا ، فتكون لذلك الشعاعة « س١ » متعامدة على اتجاه حركة الأرض حول محورها ، أى تكون ممتدة شمالا جنوبا فى الاتجاه « ع »



شكل بيانى رقم « ١ » من كتاب :
Louis-Gustave du pasquier: Le principe de la Relativité et les théories d'Einstein. p. 44 7 ig: 6.

ولكن عند ماتنفصل الشعاعتان « س١ » و « س٢ » عند النقطة « ه » تسير كلتاهما بسرعة واحدة بالنسبة للفضاء الأثيرى ، لأنهما كلتيهما تموّج أثيرى ، والاختلاف لا يكون إلا باسنادها إلى شىء آخر ، وليكن الجهاز : « جهاز ميكلصون —

1: Louis Gustave du Pasquier: Le principe de la Relativité et les theories d' Einstein., Paris 1922, P 86—112.

(١) التجربة التى تمت على الأثير ١٩٢١ المقتطف ، شارل مالك

مورلى» فتكون سرعة «سه١» بالنسبة للجهاز غير سرعة «سه٢» بالنسبة له ، لأن هذه الآلة تدور مع الأرض فى دورانها حول محورها ، والشعاعة « سه١ » متعامدة على السير بينما الشعاعة « سه٢ » موازية له ؛ فمن هذا الاعتبار ينتج أن سرعة «سه٢» بالنسبة لجهاز ميكلصون عند ما تكون الشعاعة « سه٢ » سائرة نحو « م٢ » هى :

صه — ح …… « معادلة ١ »

حيث أن « صه » رمز لسرعة الضوء المنطلقة خلال الأثير ، و « ح » رمز لسرعة الأرض حول محورها . وعند ما تنعكس الشعاعة « سه٢ » عن « م١ » تصبح سرعتها بالنسبة للجهاز هكذا :

صه + ح …… « معادلة ٢ »

أما الشعاعة « سه١ » فلها نفس السرعة فى سيرها نحو « م٢ » لأنها مركبة من سرعتين متعامدتين مثلا ، ولكنها فى ذهابها وإيابها فى كلتا الحالتين ستكون متعامدة على اتجاه سير الآلة أو الجهاز ، وستكون مقدار هذه السرعة :

$\sqrt{\text{صه}^2 + \text{ح}^2}$ …… « معادلة ٣ »

وذلك لأنها مركبة من سرعتين[١] .

على هذا الأساس رتب الدكتور ميكلصون وزميله الأستاذ مورلى جهازهما فى الأوضاع السابق ذكرها ، وأخذا يرقبان الشعاعة « سه٣ » من النقطة « ى » فارتسم أمامهما نظام متداخل ناجم عن تداخل الشعاعتين فى بعض ، وعند ما أديرت الآلة بكامل أجزائها حول المحور «ن» بحيث أصبحت «م ـ م١» متعامدة على اتجاه حركة الأرض بعد أن كانت موازية ، واتخذت الشعاعة « م ـ م٢ » وضعاً موازياً لحركة الأرض بعد أن كانت متعامدة . فكان المنتظر أن هذا التغيير يسفر عن تغير سرعة الشعاعتين بالنسبة للآلة فى الزمن الذى تستغرقه كل من الشعاعتين فى سيرها من المركز « ن » إلى المرايا العاكسة ورجوعها إلى « ن » ثانية . ومن البديهى أن الزمن الذى تستغرقه الشعاعة « سه٢ » فى وضعها الجديد أقل من الزمن الذى استغرقته وهى فى وضعها

(1): A. A. Michelson and E. W. Morley : The American Journal of Science and arts, Mew-Haven 31 (1866) P. 337., and (3) 22 (1681) p. 120.

القديم ؛ أعنى أن شعاعة النور فى سيرها فى اتجاه متعامد ـ بشرط أن تنعكس الشعاعتان وترتدا إلى مصدرهما ، وإدارة الجهاز حول محوره تسعون درجة ـ لا بد وأن تسفر عن ابطاء الشعاعة الواحدة فى رجوعها إلى « ن » واسراع الشعاعة الأخرى فى هذا الرجوع[١] .

هذا الابطاء والاسراع يؤثران فى النظام الداخلى ، إذ تنقص بعض الحلقات وتختفى حلقات الوسط وتبدو حلقات جديدة تتسرب للنظام من طرفه الخارجى . ذلك لأن تباطؤ الموجة الواحدة فى رجوعها يفضى الى تداخل جديد مع حركة الموجة الثانية التى أسرعت فى الرجوع[٢] .

ولما كانت سرعة الأرض حول محورها معلومة ، وسرعة النور فى الفضاء الأثيرى معلومة كذلك ، فمن المستطاع قياس الفاصلين « م ـ م » و« م ـ م٢ » واستخراج طول موجة النور ، وبذلك يصبح من الممكن حساب التأخير اللازم حدوثه إذا ما أديرت الآلة ومقدار التغير اللازم طروؤه على عدد الحلقات من تقلص واحتجاب

على مثل هذا الأساس العلمى الدقيق أجريت تجربة ميكلصون ، ولكنها أسفرت عن نتيجة سلبية إذ لم تتغير الحلقات ووصلت الشعاعتان معاً . ثم أعيدت التجربة مع الدقة الشديدة ولكن لم تسفر عن نتيجة[٣]

(بقية البحث فى العدد القادم) اسماعيل أحمد أدهم

(1): A. A. Michelson an. E. W. Morley: Philosophical Magazine of London, Edinburgh and Dublin. (5) 24. (1887) p. 449.

(2): M. Fitzgerald: Annalen der Pluysik, Leipzig. (4) 1907 p. 137.

(٣) اعتمدنا فى الكتابة عن تجربة ميكلصون إلى حد كبير على نص ما كتبه الأستاذ شارل مالك فى مقتطف اكتوبر ١٩٣١ تحت عنوان « التجربة التى قضت على الأثير » وقد اعتمدنا على هذا النص العربى لنقته

أندلسيات :

٣ـ قصة الفتح بن خاقان

للاستاذ عبد الرحمن البرقوقي

أنموذج الفتح

تقول إن ابن بسام كان أعفّ لسانا، وأنزه بيانا. أمّا الفتح ابن خاقان فقد كان مقذعا هجاء الى أنه كان مداحا فصالا[1]، فمن أرضاه وأناله، مدحه وفتح لهاه؛ ومن لا يرضخ له من ماله بما يرضيه، هجاه وأقذع وولغ فيه. وربما دسّ له لدى أولى الأمر وضرّاهم عليه. ومن ذلك ما كان منه مع فيلسوف الأندلس أبي بكر بن الصائغ وطبيبها الأكبر أبي العلاء بن زهر كما سيمر بك قريبا ... وقد كان مع ذلك سكيراً معربدا الى هنوات أخرى لقد يندى لها جبين الأدب، وقعدت به عن بلوغ المراتب التي بلغها أمثاله ومن هو دونه. قال الوزير لسان الدين بن الخطيب في حق الفتح: كان آية من آيات البلاغة لا يُشقّ غباره، ولا يدرك شأوه، عذب الألفاظ ناصعها، أصيل المعاني وثيقها، لعوبا بأطراف الكلام، معجزا في باب الحلَى والصفات، إلا أنه كان مجازفا مقدوراً عليه[2]، لا علّ من المعاقرة والقصف حتى هان قدره، وابتذلت نفسه، وساء ذكره، ولم يدع بلدا من بلاد الأندلس إلا دخله مسترفداً أميره. وأوغلا في عليته[3] ... وقال ابن بشكوال في الصلة: وكان ـ الفتح ـ معاصرا للكاتب أبي عبدالله بن أبي الخصال، إلا أن بطالته أخلدت به عن مرتبته. وجاء في النفح أن الفتح قصد يوما الى مجلس قضاء أبي الفضل عياض ـ صاحب الشفاء ـ مخمورا، فتنسم بعض حاضري المجلس رائحة الخمر، فأعلم القاضي بذلك، فاستثبت وحدّه حداً تاما.

(١) هو الذي يمدح الناس ليعطوه

(٢) المجازفة المخاطرة يقال جازف بنفسه إذا خاطر بها يرجع الى المساهلة كأنه ساهل بها وهو مجاز وبما استدركه الزبيدى شارح القاموس. ولعل ابن الخطيب يريد أن الفتح كان مستهترا جريئا على فعل ما لا يليق بمثله. ومقدورا عليه يريد ـ لعله ـ أنه ضعيف الارادة لا يقدر على ضبط نفسه

(٣) في عليته أي في قصره وداره فيكون الضمير للأمير، أو في سرواته وإشرافه فيكون الضمير الى البلد

وبعث اليه بعد أن أقام عليه الحد بثمانية دنانير وعمامة ... فقال الفتح حينئذ لبعض من أصحابه: عزمت على إسقاط القاضي أبي الفضل من كتابي الموسوم بقلائد العقيان؛ قال: فقلت له: لا تفعل، وهي نصيحة، فقال: وكيف ذلك؟ فقلت له: قمتك معه من الجائز أن تنسى وأنت تريد أن تتركها مؤرخة، إذ كل من ينظر في كتابك يجدك قد ذكرت فيه من هو مثله ودونه في العلم والصيت، فيسأل عن ذلك فيقال له، فيتوارث العلمَ عن الأكابرِ الأصاغرُ؛ قال: فتبين ذلك وعلم صحته وأقرّ اسمه في (القلائد)

ولقد أزلفنا أنه هجا الفيلسوف ابن الصائغ وأقذع في ترجمته له في القلائد، ثم مدحه وأثنى عليه في المطمح؛ وقد حدثنا الوزير لسان الدين بن الخطيب عن سبب هجائه إياه أولا، قال: وحدثني بعض الشيوخ أن سبب حقده على ابن باجه أبي بكر آخر فلاسفة الاسلام بجزيرة الأندلس ما كان من إزرائه به في تكذيبه إياه في مجلس اقرائه إذ جعل يكثر ذكر ما وصله به أمراء الأندلس، ووصف حليا، ـ وكان يبدو من أنفه فضلة خضراء اللون، فقال له: فمن تلك الجواهر إذن الزُمُرّدة التي على شاربك ... فثلبه في كتابه بما هو معروف ...

أما مدحه إياه بعد إذ هجاه فقد ذكر لنا المعاد أن ذلك كان منه بعد أن أنفذ إليه مالا استكفّه به واستصلاحه . . . وإليك نُتَفاً مما كتبه في القلائد هاجيا، ثم مما كتبه في المطمح مادحا: قال في القلائد: «هو ـ أي ابن الصائغ ـ رَمَدُ عين الدين، وكمد نفوس المهتدين، اشتهر سخفا وجنونا، وهجر مفروضا ومسنونا، فما يتشرع، ولا يأخذ في غير الأضاليل ولا يشرع، ناهيك من رجل ما تطهّر من جنابة، ولا أظهر مخيلة إنابة، ولا استنجى من حدث، ولا أشجى فؤاده بتوار في جدث، ولا أقرّ ببارئه ومصوّره، ولا فرّ بتباريه في ميدان تهوره، الاساءة اليه أجدى من الاحسان، والبهيمة عنده أهدى من الانسان، نظر في تلك التعاليم، وفكر في أجرام الأفلاك وحدود الأقاليم، ورفض كتاب الله الحكيم العليم. الخ الخ[1]». وقد أورد له متعمداً أبياتا ليست من جيد شعره. وأين هذا من تحليته له

(١) راجع قلائد العقيان

فى المطمح بقوله فيه ماهذا بعضه : « نور فهم ساطع ، وبرهان علم لكل حجة قاطع ، تتوّجت بعصره الأعصار ، وتأرجت من طيب ذكره الأمصار ، وقام وزن المعارف واعتدل ، ومال للأفهام فنناً وتهدّل ، إذا قدح زند فهمه أورى بشرر للجهل محرق ، وإن طما بحر خاطره فهو لكل شيء مغرق ، مع نزاهة النفس وصونها ، وبعد الفساد من كونها ، والتحقيق الذى هو للإيمان شقيق ، والجد ، الذى يخلق العمر وهو مستجد ، وله أدب يود عطارد أن يلتحفه، ومذهب يتمنى المشترى أن يعرفه ، ونظم تعشقه اللبات والنحور ، وتدعيه مع نفاسة جوهرها البحور ، الخ الخ » . وأورد له شعرا جيدا . وكل أولئك تراه فى ترجمتنا لهذا الفيلسوف الأندلسى العظيم . . . أما ما كان من الفتح من الكيد للفيلسوف الكبير والطبيب النطاسى الأشهر والوزير الخطير أبى العلاء زهر لدى أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين ، فقد جاء فى نفح الطيب ما نصه : « وكان بينه — أى بين أبى العلاء زهر — وبين الفتح صاحب القلائد عداوة » . ولذلك كتب فى شأنه إلى أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين ما صورته :

أطال الله بقاء الأمير الأجل سامياً للنداء ، رافعاً للتطاول والاعتداء ، لم ينتظم الله الملك بلبتك عقداً ، وجعل لك حلا للامور وعقداً . وأوطأ لك عقباً ، وأصار من الناس لعونك منتظراً ومرتقباً ، الا أن تكون للبرية حائطاً ، وللعدل فيهم باسطاً ، حتى لا يكون منهم من يضام ، ولا ينال أحدهم اهتضام ، ولتقصر يد كل معتد فى الظلام . وهذا ابن زهر الذى أجررته رسناً ، وأوضحت له الى الاستطالة سنناً ، لم يتعمد من الأضرار إلا حيث اشتهيته ، ولا تمادى على غيّه إلا حين لم تنهه أو ألهيته ، ولما علم أنك لا تنكر عليه نكراً ، ولا تغيّر له متى ما مكر فى عباد الله مكراً ، جرى فى ميدان الأذية بملء عنانه ، ومرى إلى ما شاء بمدوانه ، ولم يراقب الذى خلقه ، وأمدّ فى الحظوة عندك طلقه ، وأنت بذلك مرتهن عند الله لأنه مكنك لئلا يتمكن الجور ، ولتسكن بك الفلاة والغور ، فكيف أرسلت زمامه حتى جرى من الباطل فى كل طريق ، وأخفق به كل فريق ، وقد علمت أن خالقك الباطش الشديد يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وما يخفى عليه نجواك ، ولا يستتر عنه تقلبك ومثواك ، وستقف بين يدى عدل حاكم ، يأخذ بيد كل مظلوم من ظالم ، قد علم كل قضية قضاها ، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، فيم تحتج منى لديه ، إذا وقفت أنا وأنت بين يديه ؟ أترى ابن زهر منجيك فى هذا المقام ، أو يحميك من الانتقام ، قد أوضحت لك المحجة ، لتقوم عليك الحجة ، والله النصير ، وهو بكل خلق بصير ، لا رب غيره والسلام ... هذا جانب من خلائق الفتح : تحوّل وتقلّب ، ونقض لما أبرم ، وإبرام لما نقض ، وهجاء ثم مدح ، ومدح ثم هجاء ، ومناوأة للفلاسفة ، واستعداء للملوك والأمراء عليهم ، الى ما أشرنا اليه آنفاً من خلعه العذار واستهتاره ، وإدمانه المعاقرة وفسوقه ، حتى كان ذلك سبباً — كما يقول المؤرخون — فى تخلفه عن لداته وقعوده عن بلوغ عليا الرتب التى بلغوها . ومن هنا كان حبه المال حبا نال من كرامته ونقص من قيمته وصيّره شهرة لدى العلماء والأمراء وسائر العلية والسروات . ومما يؤخذ عليه أيضا غروره واعتداده بنفسه إلى أقصى حد ؛ ولا أدل على ذلك من قوله فى خطبة قلائده : «الحمد لله الذى راض لنا البيان حتى انقاد فى أعنتنا ، وشاد مثواه فى أجنتنا ، وذلل لنا من الفصاحة ما تصعب فلكناه ، وأوضح لنا من مشكلاتها ما تشعب فسلكناه ، فصار لنا الكلام عبدا يجيب إذا ناديناه ، ومهما يصيب الغرض إذا رميناه »

وبعد فقد كان هذا الأديب الألمعى الموهوب من أولئك الأدباء الذين أدركهم داء الانحطاط ، ومثله كثير بين أدباء العرب والعجم والمشرق والمغرب قديماً وحديثاً ... وهذا الصنف من الأدباء والفنانين جدير بالرحمة والرثاء ، لأن عبقريتهم هى سر انحطاطهم ، إذ العبقرية فى الحق شعبة من الجنون كما شرح ذلك لمبروزو وماكس نوردو وغيرهما . وقد كان انحطاط هذا الأديب سببا فى قتله ... وفى أنفة مؤرخ كبير وأديب نابغ هو ابن الأبار القضاعى من ترجمته والتعرض لذكره ، فقد قال هذا ابن الأبار فى معجم أصحاب الصدفى : إنه لم يكن مرضيا وحذفه أولى من إثباته . ولذا لم يذكره فى التكملة . أما قتله فقد قال ابن سعيد فى المغرب — بعد كلام — ما نصه : « وقد رماه الله تعالى بما رمى به إمام علماء الأندلس أبا بكر ابن باجّه ، فوجد فى فندق بحضرة مراكش قد ذبحه عبد أسود خلا معه بما اشتهر عنه وتركه مقتولا ... ... » ... وقال ابن دحية إنه قتل ذبحا باشارة على بن يوسف بن تاشفين ...

(يتبع) عبد الرحمن البرقوقى

٦ ـ معركة عدوى

للأستاذ الفريق طه باشا الهاشمي

رئيس أركان حرب الجيش العراقي



كانت القوة كلها مؤلفة من أربعة أفواج وسرية خيالة وبطرية جبلية . وكانت لدى كل سرية مشاة يبلغ عددها (٢٠٠) جندى ، أربعة طليان وهم رئيس وملازمان وضابط صف . أما الملازمان الآخران فمن الأهلين . ونظراً الى التنسيق الجديد بلغت القوة فى المستعمرة ما يلى :

١٧١	ضابطاً طليانياً
١٤٠٠	جندى طليانى
٣٧	ضابطاً أهلياً
٤٤٠٠	جندى أهلى
٦٠٠٨	المجموع

وفى سنة ١٨٩٥ أحدث الحاكم العام الجنرال « باراتيرى » احتياطاً من الجنود المسرحين يتألف من ثمانى سرايا تبلغ قوتها ١٧٠٠ جندى

وأطلق الطليان على الجندى الأهلى اسم « عسكرى »

ولما توترت العلاقات أنجد الطليان جيش المستعمرة بقوات أخرى جلبوها من إيطاليا . وفى الشهر الآخير من سنة ١٨٩٥ بلغت النجدة أربعة أفواج قوة كل منها ٦٠ جنديا . ثم جعلوا القوة الأهلية ثمانية أفواج بعد أن كانت أربعة أفواج . وزادوا قوة السرية فيها من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ جندى ، وهكذا بلغت قوة الجيش ١٤٫٠٠٠ ، منها ٢٫٨٠٠ جندى طليانى

وباضافة قوة الاحتياط إلى ذلك أصبحت قوة الجيش ١٨٫٠٠٠ جندى ، وفى معركة عدوى كانت قوة الجيش كما يلى :

(ا) لواء الجنرال « البرتونة » وكان مؤلفاً من أربعة أفواج أهلية وبطريتين طليانيتين وبطرية أهلية

(ب) لواء الجنرال « دابورميدا » وكان مؤلفاً من ستة أفواج طليانية وفوج أهلى وأربع بطريات طليانية

(ح) لواء الجنرال « ارعوندى » وكان مؤلفا من خمسة أفواج طليانية وسريتين أهليتين وبطريتين طليانيتين

(د) لواء الجنرال « اللانا » وكان مؤلفاً من ستة أفواج طليانية وفوج أهلى وبطريتين طليانيتين سريتى الزنى وسرية هندسة

فالجيش كان مؤلفاً من ثلاثة وعشرين فوجا ، وسريتى مشاة ، واثنتى عشرة بطرية ، وسريتى هندسة ؛ وكان مجموع القوة :

٥١٠ ضباط ، و١٢٫٤١١ جنديا إيطاليا ، و٧٫٣٣٠ جنديا أهلياً و٦٤ مدفعاً ، ومجموع رجاله ٢٠٫٢٥١ رجلا ، وهكذا يصيب كل ألف جندى ٣١١ مدفعاً ، وكانت هذه النسبة جيدة فى ذلك الزمن

أسلوب التعبئة الطليانية

كانت كتب التعليم الطليانية شائعة فى جيش المستعمرة ، إلا أن بعض أحكامها عدل نظراً الى حالة العدو . وكان بعض هذا التعديل ، الحركة فى ميدان المعركة بالنظام المنظم ، والانتشار بصف واحد ، على أن يكون الجنود متجانبين دون فرجات

وظهر من حركات البريطانيين على المهدى أن هذا الأسلوب لا يفى بالمرام تجاه صولة الأحباش الذين يظهرون شجاعة فائقة فى حملاتهم ، فاستفادت القيادة الطليانية من حركات البريطانيين وقررت أن تترك قسمات احتياط فى الخلف لتنجد الخط الأول عند الحاجة أو لتكون متأهبة للطوارئ . إلا أن الضباط

لم يتعودوا هذا الأسلوب تماما لما وقعت معركة عدوى ، ولاسيما أنهم كانوا قد تدربوا على أساس التعبئة الأوربيـة قبل مجيئهم الى المستعمرة

ليس من السهل دخول القتال فى مستعمرة بعيدة عن الوطن ما لم تنظم أمور السوقيات ؛ والظاهر من تدابير الطليان أنهم لم يضعوا خطة ناجحة لشؤون النقلية ولم يعهروا فيها ، فاتخذوا الميناء « مصوع » قاعدة للحركات وأرسـلوا اليها القطعات والتجهيزات على التعاقب دون ترتيب . فكانت التجهيزات ومواد الاعاشة تكدس هنا وهناك بصورة يصعب نقلها من الميناء إلى الداخل

والأغرب من كل ذلك أن الحكومة الطليانية كانت ترغب فى إدارة رحى الحرب دون انفاق المـال . ولما طلب الجنرال باراتيرى المال أجابه رئيس الحكومة « كريسبي » بأن نابليون الأول كان يحارب حروبه بمال العدو ؛ قالهذا ناسياً أن الساحة التى يتحرك الجيش فيها هى أرض قفراء لا ماء ولا أقوات كافية فيها

الشروع فى القتال

توترت العلاقات فى مايو ١٨٩٤ . وفى آخر شهر من هذه السنة ظهرت علائم التمرد فى جنوبى أسمره . وكان المحرض على ذلك رأس تيجرى « منيفسيا » ، ولما سمع الطليان أنه يجمع الجنود طلبوا منه تسريحهم فلم يجب طلبهم

وعلى أثر ذلك تقدمت القوة السفرية المكلفة بستر أسمرة ومصوع بقيادة الجنرال « باراتيرى » الى شمالى نهر مارب وعسكرت هناك

وفى ١٣ يناير ١٨٩٥ عبر « منيفسيا » نهر بلزة فتقدم الجنرال نحوه ونشبت المعركة فى كواتيت . ورتب باراتيرى ثانى قوته مع البطرية الجبلية فى الخط الأول ، وترك باقى القوة فى الخط الثانى لحماية جانبه الأيسر

وكان الأحباش يسعون للالتفاف حول هذا الجانب إلا أن إرسال الوحدات الأهلية للنجدة ، وثبات الطليان فى الجبهة ، واشتراك جميع القوات فى القتال على التدريج مما ساعد باراتيرى على الاحتفاظ بموقفه ، وتوقف القتال بعـد الظهر واستمرت المناوشات الخفيفة الى المساء وانسحب الأحباش ليلا

وشرعت القوات الطليانية فى المطاردة فى ١٥ يناير ١٨٩٥ وتقدمت طول النهار ولحقت بالأحباش فى سنافة . وبعد اطلاق بضع طلقات انسحب الأحباش ، وتقدم الطليان على طريق الهضبة دون أن يضطروا الى عبور الأنهار ، ودخلوا ادجرات فى ٢٥ أبريل ١٨٩٥ . وفى شهر مايو بدأ موسم الأمطار الغزيرة فتوقفت الحركات

أما الأحباش فأخذوا يجمعون قواتهم لمقاتلة الطليان ، وكانوا يأملون أن يتم الحشد فى الخريف ، فشرع الأحباش فى الهجوم على الطليان لاخراجهم من البلاد . أما الطليان فأنجزوا تحكيم موقع ادجرات فى شهر يونيو . والموقع كما نعلم يرتفع عن سطح البحر ٢٥٤٥ مترا وهو صالح لاقامة الأوربيين من حيث الهواء . وهو أيضا موقع خطير فى حد ذاته . ففيه تلتقى الطرق الممتدة إلى مقاطعة شوعا ومقاطعة أمحرة ، فضلا عن كونه واقعا فى نقطة ملتقى الجبال ، ومنه تتشعب سلسلة عدوى التى تفصل حوض « تكاه » وتوابعه عن حوض « مارب » وتوابعه

وقرية عدوى عاصمة المقاطعة ، وعلى مسافة خمسة وعشرين كيلومترا منها تقع أكسوم العاصمة الدينية ، حيث يتوج عواهل الحبشة . واحتل الطليان عدوى أيضا فى شهر أبريل ، وبذلك استولوا على خط (ادجرات - عدوى) فسيطروا على المسالك المؤدية اليه ، وجعلوا حوضى النهرين تحت نفوذهم

واستمروا على التقدم من ادجرات سالكين المرتفعات التى تفصل بين أحواض الماء ، ودخلوا قصبة « مكلة » أيضاً وحكموها

وعلى هذا الأسلوب تحركوا بحذر وشيدوا القلاع على طول الخط بمراحـل ٣ الى ٥ أيام . وكان من الضرورى الاهتمام بالمواصلات التى تربط هذه القلاع بالساحل . ولا شك فى أن توسيع دائرة احتلالهم على هذه الصورة جعلهم ضعفاء فى كل محل ، لأن القوة لم تكن تكفى لحراسة خطوط المواصلات ، والدفاع عن هذه القلاع وتهيئة قوة سيارة تتحرك عند الحاجة لضرب الأحباش ، لأن القوة لم تزد حينئذ على ١٨٫٠٠٠ رجل . أما الخط الذى انتشرت عليه القوة فيبدأ من « كسلا » ويمر بخط « كون - اسمره - ادجرات » وينتهى فى « مكلة » . وكانت الأخبار تؤيد تأهب الأحباش للمعركة الفاصلة . ولم يكتف الطليان

بنشر قواتهم على ذلك الخط الطويل بل أوفدوا قوة ستر مؤلفة من فوج أهلي وفصيلة مدفعية الى جنوبي « مكلة » في مرحلتين الى (امبا ـ الاغى)

وفي نهاية السنة هاجم الأحباش هذا الموقع فدافعت القوة دفاعا مستميتاً ، ولم يتلق آمرها أمر الانسحاب إلا متأخراً بعد أن قضى الأحباش على قوته وغنموا مدفعيته ، بينما كان الموقف يتطلب أن يبلغ هـذا الآمر واجبه الأصلي وهو الدفاع الرجعي دون دخول قتال فاصل

وكانت القوة الحبشية مؤلفـة من ٣٠٫٠٠٠ رجل يقودها الرأس « ما كونين » والد الرأس « تفرى »

وكان الجنرال « اريمونذى » بكوكبه (بقسمه الأكبر) في مكلة ، ولمـا تيقن أن الأحباش سوف يهاجمونه وأنه لا يستطيع الدفاع أمامهم قرر الانسحاب ، فانسحب بسرعة الى «اداجاموس» ثم الى «ادجرات» وترك في مكلة فوجاً أهلياً مع مدفع جبلي فقط

أما النجاشي منليك فكان مهتما بجمع الجيش ليملى إرادته على الطليان ويهيء سبيل الخـلاص لبلاده . وبعد أن جمع المـال المطلوب من مقاطعة التالا ، وأنجد جيشه بخيالة التالا ، وصل إلى اديس أبابا وأعلن إلى الجميع أن الحبشة لا تحتاج إلى أحد بل عدا الله ، فتولى قيادة جيشه بنفسه وجمع جميع الرؤوس في « بروميدا » وصرح لهم ولجميع المشايخ والأشراف برغبته في طرد الطليان من البلاد وانقاذها من مخالب الاستعمار . فوافقه الرؤوس على ذلك بالاجمـاع ، وكان المشهد مما يثير الحماسـة في الصدور ، وكانت قوة الجيش الحبشي مع قوة جيش « ما كونين » تبلغ ١٦٠٫٠٠٠ رجل . فحاصر ما كونين قلعة مكلة وأخـذ يدكها بنار مدافعه ، وقطع عليها طرق الماء . فاضطرها إلى التسليم في ٢٥ ديسمبر ١٨٩٦ ووافق النجاشي على عودة الأسرى الطليان الى بلادهم لينشروا الرعب في قلوب الطليان الآخرين

ولمـا انتشرت أخبار انتصار الأحباش في المستعمرة ساد القلق والرعب في قلوب الناس ، وفكر الطليان في الدفاع عن ميناء مصوع أيضاً . وقررت القيادة حشد جميع القوات في ادجرات لصد تقدم الأحباش ما عدا الحاميتين اللتين في كرن وكسلا ، وكانت قوة الحامية منها مؤلفة من فوج وسرية خيالة وفصيل مدفعية

(يتبع) طه الهاشمي

مؤتمر القلوب

للأستاذ السيد محمد زياده

سألت نفسي بعد تأمل وتفكير : « ماذا يكون لو أمكن كلُّ إنسان أن ينكمش حتى يختفي في قلبه ، وأمكن قلبه أن يتسع حتى يحويه ؛ فيظهر للناس عارياً لا يكسوه إلا الشفاف ، ويصبح الشخصُ المنطوى على قلب قلباً منطوياً على شخص ، وتمشى القلوب وتتنقل ، وتدب حيث تحب ؟ أتنكشف السرائر ، وتسفر الخفايا ، وتباح الأسرار ؛ ويستطيع كل قلب أن يعرف ما له عند الآخر بغير حاجة الى رسول بينهما قد يصـدق وقد يكذب ، ويتبين المرء ما يكنُّه له حبيبه أو صـديقه خاليا من الزيف والرياء ؟ »

وكان سؤالا غريبا جديدا ، حيرني الجواب عليه ؛ ثم رأيتني في الرؤيا أجرب هذا ... فانقبضتْ أطرافي الى بدني ، وانحصر بدني في قلبي ، فأصبحت قلبا ومضيت لشؤوني في الحياة ؛ ووجدتني مقبلا عليها بتلهف وشوق كما يقبل على الحرية سجين أطلقوه . فهو يندفع اليها بقوة ، ويتقلب على رحبها بشغف ، كأنه يريد أن يجنح فيها فيملأها . وهي تتلقاه هاشة باشـة ، وتتفتح له حيث اتجه ، وكأنها تريد أن تمتزج بها فيصير منها

ثم وجدتُني هنا وهناك طلقاً موزّعا متحيرا لا أستقر ، ولا أعرف كيف أستقر ، ولا أفهم معنى الاستقرار . وزعمت أنني لم أوجد في الحياة الا لأتحسس الجمال وألتمس الحب ، وخيّل إلى وهمي أن الجمال في كل لحظة يناديني ، وأن الحب في كل بقعة ينتظرني ؛ فجننتُ بالجمال والحب ، وحلّقتُ في سمائهما بأجنحة الخيال حتى كدت أتحطم أو تحطمتُ . . بين شقاء يجرُّني اليه الهجر ، وشقاء يجرني اليه الوصال

ورأيت العيون من حولي تلتهمني بنظرات هي التعجب والاستغراب ، وكأنها تتخاطب قائلة : « ما لهذا القلب لا يهدأ ؟ » حتى كادت تشعرني بأنني وحدى أصفق للجمال وأخفق بالحب . ولـكني لم أحفل بالنظرات ولم أهب العيون ، وسرت في طريقي كما أنا قلباً مهوماً شديد الخفقان

ثم رأيتُني مدعوًّا إلى مؤتمر دعيتْ اليه القلوب جميعا ؛

ففرحت بهذه الدعوة ونشطت إلى الائتمار . وتوافدنا نحن القلوب يسابق بعضنا بعضا ، ويحمل كل منا فى أعماقه ما يحمل

* * *

فهذا قلب صاف لا رنق فيه ولا غبار عليه ؛ وهذا قلب درن غلب على بعضه الدرن وغلب على بعضه النقاء ؛ وهذا قلب أسخم لم يبق فيه أثر لطبيعته ؛ وهذا قلب كبير ؛ وهذا قلب صغير

ووقفت أرنو إلى ذلك الحشد الحافل وأستمتع بما فيه من مشاهد غريبة كانت محجوبة عني أو كنت محجوباً عنها ؛ وأخذ كل قلب يتطلع إلى القلوب حوله ، ويستمتع استمتاعي وكأنه يحس ما أحسه من دهش يصحبه فرح ، ومن رهب تصحبه لذة

ورأيت على بعد غير سحيق من مكاني قلبا تقلص أديمه ، وشاه مظهره ؛ فدلنا على باطن غاسق كالليل ؛ والقلوب كلها نافرة منه صادفة عنه ، كأنه قتاد يشوك من يقربه ، أو مخلوق وحشي يلتهم من يلمسه . وهو فى مكانه يوزع عليها نظرات متمضة ساخطة ملأى بالتمرد والتوعد . فسألت : « ما لهذا القلب لا يجد منا صاحبا ولا نجد فيه أهلاً للصحبة ؟ » فقالوا : هذا قلب رجل لا يعيش إلا ليبث الفساد بين قلوب عارفيه ، ولا يستريح حتى يشي بين صديقين متفقين ، أو يمكر ما بين حبيبين ناعمين ، أو يسيء إلى أحد ما . فتراه يبتسم لهذا ، ويداعب ذاك ، ويوسوس إلى ذلك ؛ حاسباً أن فى ابتسامته ودعابته وريائه ستاراً لحقده وخبثه وخسته ؛ ولكن هيهات . . فكلنا يعرف ما فى جوفه ، وكلنا يحتقره وينبذه ويلعنه ، وكلنا يود الآن لو يسحقه فيريح الوجود من وجوده

ورأيت فى ناحية أخرى قلبا شف لونه ، وأشاعت سحنته ، فدلتنا على دخيلة بيضاء كالشمس ، والقلوب كلها ـ إلا ذلك القلب الداكن وأمثاله ـ متهافتة عليه ، متوددة اليه ، تصافحه وتحييه ؛ فيصافحها ويلاقيها بتحيات زكيات ملأى بالبر والقناعة ـ فسألت : « ما لهذا القلب لا يجد منا قاليا ولا نجد منه داعيا للقلى ؟ » فقالوا : « هذا قلب رجل تقي كريم يعرف الله ويخشاه ، نصب نفسه لهداية الناس ، وقضى أيامه يجاهد الرذيلة ليحيي الفضيلة ، ويكره الشر ، ويحب الخير . فطالما سعى ليوفق بين صديقين مختلفين ، أو يصلح ما بين حبيبين تاعسين ، أو يحسن إلى أحد ما ؛ فتراه يرشد هذا ، ويعلم ذاك ، وينتزع الغواية من ذلك ، صادقا فى كل ما قال وكل ما فعل ، مصلحاً أينما حل . فكلنا يعرف فضله ويقدره ويحترمه ويود لو رفعه فيجعله فى السماء

ولفت بصري قلب غلا دمه ، وتصاعد البخار من فتحاته ، وكاد يندلع اللهب من جنباته ؛ حتى خلته تنوراً تنصهر فيه جدرانه جزءاً جزءاً ، ويشتد أزيزه كلما استعر جوفه . يروح ويغدو بين القلوب هائجا كالمشرد ، حائراً كالضال ، لا تفتر قواه ولا ينقطع خفوقه . فتساءلنا عما به فوجدناه قلب محب فارقه حبيبه فبرح به الشوق ، وأضناه الألم ؛ فهو ظمآن لهفان يبحث عنه بيننا علّه يلقاه فينقع اللقاء غلته ، ويبرد لهفته . فقلت : آه ! ! ما أعظم سلطان الحب . . آمنت بأن فى الحياة قلوباً تحار حيرتي وتكابد ما أكابد

وكان بين القلوب قلب خال كالبيضة إذا أفرخت ، سافر كالمرأة إذا تهتكت ، باهت كالشمس إذا تنقبت بالسحاب . فكان أشبه شيء بالاسفنجة ؛ وأعجبني منظره الفاتر الخالي من كل قرائن الحياة ؛ لأنه شاذ بفتوره وخلوه منها ، وأخذت أراقبه مليا لأقف على سره لو كان لمثل هذا القلب سر ؛ فوجدته إمعة يظل ساكنا كالنائم فلا يتحرك حتى يحركه غيره ، ولا يتوجه حتى يوجهه غيره ، ولا يعمل إلا ما يمليه عليه غيره

يدنو منه قلب من تلك القلوب السوداء هامساً موسوسا فلا يلبث حتى يسود ويتشكل بشكله ، ثم يدنو منه قلب من تلك القلوب البيضاء الناصعة محدثاً مبشراً ، فلا يلبث حتى يبيض ويتشكل بشكله ، وهكذا هو فى كل أحواله مقود لا إرادة له ولا صفة

فسألت عنه فقيل لي : هذا قلب شاب ساذج أبله مغرور بنفسه ، مخدوع بغروره ، لم ينكبه الدهر ، ولم تكربه العوادي ؛ فعاش كما تراه سلبيا من الشر ومن الخير ، بعيداً عن الحزن وعن الفرح ، وحسب أنه عاش كذلك برغبته وقدرته ، وأنه استطاع أن يهزأ بالأحداث لأنه فوق متناولها ؛ ولم يعرف أن الله خلقه ضعيفاً فأنكره الدهر ، وهزأت بوجوده الأحداث

ووقع بصري على قلب تراه واقفاً فلا تحسبه واقفاً لدأبه على الدق والتوثب ، ولا تفهم من خفقانه المتواصل معنى خفقان القلوب . وإنما تفهم معنى الجبروت والصولة والعربدة ! ! ينظر

إلينا شزراً ويتطلع إلى محيطنا باستخفاف؛ ثم يصرف عنا بصره ويتطلع إلى أبعد من محيطنا باستخفاف؛ كأنه لا يشعر بنا وكأنه يعتبر الكون أضيق من أن يسع قوته وعظمته، فلا يروح ولا يغدو إلا في تيه وخيلاء، ولا يقف إلا وقفة المتمرد المتحفز، وهو مع هذا أبكم، أصم، أعمى، كافر، لا يؤمن بالرحمة، قاس لا يعرف الآلام؛ فهو أشبه شيء بكرة من الحديد

قلت: قلب من هذا القلب القوي المتكبر؟ قالوا: قلب رجل شجاع جبار لا يهاب الصعاب، ولا يرضى الاستكانة، ولا يعرف التسامح، مفطور على الكبر والعظمة واستصغار الكبائر؛ واستضعاف الأقوياء، واستعباد الضعفاء. فهو يعتقد أنه مخلوق للغلبة والانتصار

***

ونظرتُ على يميني فرأيت قلباً استحق مني أن أطيل النظر إليه لما هو فيه من هم وكآبة، وقطعت فترة طويلة من الوقت شاخصاً إليه، متأملاً مشفقاً وأنا أحس أنه بائس وأن بيني وبينه صلة من البؤس مهما يكن بؤسه ثم ملت إليه وسألته: ماذا بك أيها القلب الحزين الباكي، ومالي أراك ساكناً ساكناً... تبدو في سكونك كاليائس المقشعر من يأسه، وكأن بك تستكثر على نفسك أن تعيش لأنك برم بالعيش!! إنك منا ولكنك غريب عنا؛ لا تخالطنا كما نتخالط ولا تحادثنا كما نتحادث؛ فما رأيتك منذ رأيتك إلا زافراً تكبت الزفرات، أو مستعبراً تخبأ العبرات، وأحسب أنك تكبت في حب فمشت في ذكرياته، وأن تلك الذكريات التي وصلتْ ما بينك وبين الماضي قطعت ما بينك وبين الحاضر: فماذا بك، وقلب من أنت؟

فانتفض، ثم صعدت من فوهته زفرة ملتهبة، ثم صمت قليلاً، ثم رنا إليّ طويلاً، ثم قال: دعني لمأساتي فالحب لا يحرق إلا من ألقى فيه

قلت: ولكني أريد أن أعرف مأساتك؛ فعسى أن أعينك أو أواسيك أو أتوجع لك

فصعدت من فوهته زفرة أخرى وقال: أواه... هذا شعور جديد في الحياة أو جديد في حياتي أنا فقط، وهذه كلمات لم أسمع مثلها منذ حين. فيالك من قلب طيب!

إن مأساتي هي أنني بحياتي مأساة في الحياة!! لقد كنت محبا واليوم قد مات الحب، بل أنا محب؛ كنت هانئا، واليوم قدمات الهناء... بالأمس كنت قلب فتاة عذراء مؤمنة، واليوم أنا قلب امرأة متخالعة متاجنة... امرأة مومس أقعدت على الدعارة مكرهة، ثم مستسلمة، ثم راضية،... امرأة ساقطة تبيع عرضها في سوق الفجور (الرمي) كل يوم لكل من يدفع الثمن...

مسكينة هذه البائسة المجروحة التي تحملني بين حناياها بائساً مجروحاً!! إنها تحاول كثيراً أن تسكتني وتخفيني، ولو استطاعت لقطعت ما بيني وبينها من شؤون وصلات، لتخلو لشؤون وصلات ذلك العالم الداعر الكافر الذي تعيش فيه بين ذئابي الانسانية وهدّامي البشرية، وأنا في صدرها أتلاع وأتألم وأبكي وليست لي دموع إلا الدماء أستوردها من بدنها فيهزل قوامها، وهزال قوامها يذبل شبابها، وذبول شبابها يضيع جمالها، وجمالها هو حياتها الفانية التي لا خير فيها

الرجال يحدثونها دائماً عن مواضع الفتنة ومواطنْ اللذات فيها، فلا تسمع رجلا واحدا يحدثها عن مواطن الحسرة ومدافن الذكريات في أعماق نفسها، ويسألونها كل يوم عن شهوة بعد شهوة، ولا يسألونها: أي حزن دخيل ثقيل تحملين، وكيف تتعذبين!! إنها تضاحكهم وتداعبهم ترويجاً لخلاعتها بينما تباكيني وتناجيني تفريجاً لكآبتي، وهي في ذلك مضطرة إلى التظاهر بأنها امرأة بلا قلب ولا ضمير، وإلا اتهموها بأنها تحمل قلباً حياً وضميراً مستيقظاً، وعدوها بذلك خائنة لحرفتها غير حافظة لنعمتها

لقد حبستْني وحرّمتْ على أن يسمعني أو يشعر بي أحد، وما جئت إلى هنا إلا خلسة منها. فهي الآن في أحط أوقاتها بين أحط الرجال

ولكني لا ألومها فأنا الجاني الأول عليها،... لقد قادني الحب فقدتها أنا الى معمعة العواطف، ثم قادتها العواطف المطلقة إلى مغانم الشهوات، ثم قادتها الشهوات الغرية الى مساقط الفساد، ثم إلى الهاوية التي لا مقيل لها منها إلا الموت

وبكى وبكيت له ورحت أواسيه بالقول لأن مأساته أكبر من أن أعالجها بالعمل

(البقية في العدد القادم) السيد محمد زيادة

عـــويل الدم

[مهداة الى الأستاذ الزيات]

من وحي مقالة : « على هامش الموضوع »

بقلم جورج وغريس

« فى يوم مشئوم ، فى بلد مجهول ، جرى دم الشهداء على أديم الغبراء ، وظل سحابة يومه شاهد الأرض للسماء ؛ وفى الصباح الباكر مر عابر السبيل ، فألفى الدماء قد استحالت الى كلمات ، فأخذ يلتقطها بيد مرتجفة ويلقيها فى سلال حمراء وسوداء ... وهاؤم اقرأوا تلك الكلمات .. .. »

***

لقد قالوا للسان اصمت فتكلمنا

نحن القطرات المتساقطة من عيون الفناء ، وحيث سقطنا ستظل الحقيقة قائمة الى الأبد

إنما يعيش الانسان بالدم الذى يجرى فى عروقه ، فان مات شهيدا عاش الناس بما يلقيه من الدم فى عروقهم

لقد كذبت معاجم اللغة فى كلمتين : « قعقعة السلاح » وصوابها « قعقعة الدم »

ليس معنى الموت الموت دائماً ، فقد يكون معناه الحياة أحياناً

أليس غريباً أن نهتف للحق مرتين : مرة فى حنايا القلب ، ومرة من ثنايا الأرض ؟

لو أننا عدنا إلى حيث أتينا ثم خُيرنا فى مصيرنا ما اخترنا غير هذا المصير

لقد فهمنا حاجة الأرض فأطفأنا مابها من ظمأ . . . .

أيها الثرى الجائع .... لقد أتخمك الشبع !

لقد قالوا لنا عيشوا فى معاقلكم فانطلقنا منها أحرارا

لما أحجم القوم تقدمنا ، وحين أطفأ الناس أنوارهم أتينا لهم بالمشاعل

نحن مادة الحياة أينما حللنا ... ... عشنا فى القلوب فخفقت ، ولمسنا الأرض فنبضت . .

ليت الانسان يفهم أن للحياة معنى غير الذى دارت عليه أيام الأنعام ، والحياة بغير هذا المعنى لا معنى لها

انصتوا أيها الباكون حولنا واستمعوا ، فان قيثارتنا ترسل أنغامها السحرية

ان تفجرنا من القلوب أو جمدنا فى العروق فنهايتنا واحدة : الأرض مثوانا وهى الأم الرءوم

أليست تلك أرض الوطن ... ؟ لقد خالطنا حبها فاختلطنا برغامها وتوغلنا فى أعماقها وأضفنا الى تربتها عنصراً جديداً لن يزول إلى الأبد ... ... أليس فى كيميائها « المادة لا تفنى ؟ ... »

للمظالم البشرية سهام مسمومة وللنفس الشريفـــة دم كريم ... ... إن أصاب ذلك الدم سهم من تلك السهام أبت كرامته أن يعيش الى جواره فيفلت من مكانه ناقماً عليه ثائراً على عداونه

جبلت نفس الظالم من صخر لا قلب له ولا دم . فهو ينتقم لتلك الطبيعة الناقصـة . فان صادف قلبا أرهقه ، وإن لاق دما أهرقه .

لا تقوم فى نفس ابن آدم نزعة إلى الشر إلا ويكون مبعثها شيطان فيه . ولا يجيء منه الخير إلا يكون مصدره الانسانية فى الانسان . ونحن - وا أسفاه - نتيجة صراع بين النزعتين فى نفسين مختلفتين

تضافرت الفضائل فغلبتها التضحية ، وتنافرت الرذائل فجمعتها الأنانية

ياعابر السبيل.. اخلع نعليك، فان الأرض التى تطؤها مقدسة !

يا عابر السبيل ... نحن غرباء مثلك ، مطاردون مثلك ، وقد أحاطتنا الحياة بهوانها حتى زجرتنا عن محيطها ، وقذفت بنا الى الأرض قطرة حارة وزفرة متأججة تحرق الأديم وتلفح

الوجوه . فان بلفتك أنفاسنا المحترقة تخذ من حرارتها قوة لأنشودتك ، ومن فيض آلامها املأ أنغامك سحرا وجلالا وروعة ... ...

يا عابر السبيل ... ... لا تخش أن يكون سبيلك سبيلنا وطريقك طريقنا ... فانما السبيل للمجد وعر والطريق اليه شائك ، فلا تكتئب أو تحزن فمن وخزات ألمك تعيش الكرامة ، ومن زفرات بكائك يشتق الخلود آيته ...

نحن الورود الحمراء التى سقتها الدموع وأنبتتها الأهوال . ستعيش جذورنا فى أعماق الصخرة وتصمد أعوادنا المخضلة فى وجه العاصفة ، وتتفتح أكمامنا للأجيال فتملأ النسمات بأريج عاطر ينعش الأنف وينتدى القلب ويثير الفؤاد

لنا فى أذن الأجيال همسات ، أسمعوها يا هؤلاء لأولادكم وأحفادكم إن كان لكم ولهم آذان . واكتبوها على شغاف قلوبكم وقلوبهم بحروف من عصارة تلك القلوب . فان كانت دما نقيا رفعكم ورفعهم ، وإن كانت دما مارقا خذلكم وخذلهم

(اسكندرية) جورج وغريس

أحلام وذكريات

للآنسة فردوس مصطفى

من مشكاة الطفولة اللاهية النافلة كان قلبي الخلى يطل على قوافل الحياة فيراها ويحس بها غير ما يراها ويحس بها الآن ، وكان احساسه بها حينذاك احساسا قوى الفطرة جامح النفلة يبهره من قافلة الحياة تناسقها ومظاهرها غير مدرك سرها وجوهرها . وكان يرقبها طوال الأعوام الثلاثة عشر ، حتى إذا ما تحول إحساسه بها الى بعض ادراكه لها نشأ عن هذا الادراك الحسى شعور جديد دفع به إلى السير مع القافلة ، فاندمج فيها ولم يعد يراها ، ولكنه بدأ يعرف سرها ويدرك مداها . وعند ما أذكر أحلام الأعوام الثلاثة عشر ، وقد كانت كلها أحلاما ، أشعر بالماضي يجذبني نحوه وبالحنين يساودني اليه ؛ فأحلام الصغار وأمانيهم أسباب تصل ما بينهم وبين الحياة بسبائك من الذهب ، ولأحلام الكبار وأمانيهم أسباب تصل ما بينهم وبين الحياة بحبائل من النصب ، وياشد ما يهفو القلب الى القفزات المرحة فى رحبة المدرسة ، والى تلك الدمى المترامية فى الدار من مختلف اللعب ، والى فساتين الأعياد الزاهية الألوان ؛ كل ذلك له أثر فى القلب ، لأنه بدء علوقه وأول صباباته . فلما شب عن طوقه وبارح مشكاته أصبحت له صبابات غير تلك الصبابات ، وأمانى وأحلام غير تلك الأمانى والأحلام ، بذل فيها من دمه ونعيمه الشيء الكثير ، فثار على الحياة يثأر لدمه الغالى ونعيمه الذاهب ؛ وللقلب حين يثور فلسفة يحتار فى غاياتها العقل ؛ وللقلب حين يثور أفانين يقصر عن إدراكها الفكر ، ولكنها فلسفات وأفانين هى أقرب الى السماء منها الى الأرض ؛ تدمجه فى الروح الخالص فلا يشعر بما على الأرض من مادة طاغية ، ولا يحس من بهرج الحياة وظاهرها بسعادة خاوية . فهناؤه فوق المادة ، ونعيمه موصول بالسماء ، وبين الفينة والفينة يعاوده الحنين الى ذكريات الطفولة وأحلامها ، والى المشكاة وأيامها ، فيخيل اليه أنه يستطيع أن يطل على الحياة كما كان يطل ، وأن يرقب القافلة كما كان يرقب ، ولكن هيهات !

فردوس مصطفى

عجز التجارب

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

ما زاد مَرُّ حياتى غير أشجانى فزوّدتنى رجحاناً كنقصان
يا دهر لا تُثْنِنى فى ضيق عادية محاسن العيش من صبر وغفران
وقوِّنِى بتجاريب أزاولها فإنها لم تزدنى غير عرفان
وكيف يُلْهِمُ خُبْرٌ صَبْرَ مصطبر يَدْرِى له الْخُبْرُ عرفاناً بإيهان
يزيده العمر من وَهْىٍ ومن كِبَرٍ ما زاده العمر من خُبْرٍ بحِدْثَانِ
فكيف ينفع تجريبٌ ومانحه يوهى جلادة أعصاب وجثمان
بعض التجارب يُنْسِى بعضها زمناً إذا تعاور لبَّ المرء ضدان
فإن تيقّظ فى تجريب طارقة فإنما هو يقظانٌ كوسنان
ضرورة العيش أن ينسى ليذكر ما يغدو يعالج من أمرٍ له ثان
فالمرء ما عاش من حال لثانية مُنَقَّلٌ بين نسيانٍ ونسيان
فإنْ تذكَّرَ أمراً واحداً أبداً قضى الحياة غريراً جد غفلان
وإن تناسى فلا نَفْعٌ لخبرته وكيف يُجْدِيهِ مَنْسِىٌّ بغنيان
فإن تذكر منسياً تبادهه منه فجاءة ما يقضى الجديدان
كأنه مُسْتَجَدٌّ لم يُلِمّ به ولم يُحَوَّلْ إلى طبع ودَيْدان
ورب طبع بلا خُبْرٍ وتجربةٍ أسخى على المرء من خبر وعرفان
ذُخْرُ التجارب ذخرٌ لا رواج له ولم يُخَصّ بأرباح وأثمان
ذخر الأقاصيص مسحوراً ومُخْتَزَناً فليس للعين منه غير ريعان
إلاّ تجارب علمٍ يُستَجَدُّ بها ما يملأ العيش من حسن وإحسان
لولا انتفاعك من عادٍ مُفَضَّلَةٍ قد تجتبيها مع التجريب فى آن
لما خُدِعْتَ بأشباهٍ إذا اختلطت فعادةُ المرء والتجريبُ أمران
والْخبْرُ ليس بنافٍ عادةً شنأت ولا يُداوَى به من وهى أبدان
يزيدك الْخبْرُ علماً بالحياة وما تُغْرِى به الناس من شرٍّ وطغيان
حتى تسير على مجرى سجيتهم فلا يزيدك فيها غير إمعان
فإن أبيت سجايا الناس من شمم قضيت عيشك فى هم وأحزان
إلاّ إذا ما لبست الدهرَ عافيةً فهيأت لك من صبر وغفران

عبد الرحمن شكرى

السجينة

للأستاذ فخرى أبو السعود

لك الله كم ذا تطمحين وأعزف وأثنيك عما تبتغين وأصرف
ويا نفس كم أزوَرُّ عما اشتهيتِهِ وأعنى بما لا تشتهين وأكلف
وأحجم عما رمتنى فيه مُقْدِماً وأقْدِمُ فيما تكرهين وأسرِف
وأبدى سوى ما تضمرين مكتماً جوى لك فى الجنبين لا يتكشف
تُجَنِّين تهياماً ووجداً ولهفة وأظهر أنى الزاهد المتعفف
وتخفين إشفاقاً وأبدى جلادة وأغلُظ يا نفسى عليك وأعنُف
وأكظم غيظاً قد أطاشك فرطه وأجمل للباغى المسىء وألطف
كأنك فى الجنبين منّى سجينةٌ تعذّب فى ظلمائها وتحيَّف
وتُكبح عما تشتهيه وتبتغى وتُقمع أشواقٌ لها وتشوُّف
ظلمتك لم أظلِم سواكِ من الورى وما من خلالى قسوة وتعجرُف
ظلمتك ، لا يا نفسُ بل تظلمينى وأصفح عما تُسلِفين وأصْدِف
أما كل يوم مذهبٌ لك شائق ؟ أما كل حين مأربٌ بك مُلْحف ؟
أما كل آن غايةٌ إثرَ غاية أُكلَّفُ فى إدراكها ما أُكلَّف ؟
وسيان محمودُ العواقب نافع لديك ومذمومُ المغبة مُتْلِف
أما تشتهين اليوم ما يُجْتَوَى غداً
ويُقْلَى لديك اليوم ما كان يشغَف ؟
وهل أنا مُسطيعٌ رضاك لو أننى على العالمين الحاكم المتصرف ؟
ولو أننى عمرى أجاريك لم أعِشْ عن النهج إلا حائداً أتعسف
كلانا أيا نفسى بلاء لخدنه نعم وكلانا ناقم ومعنِّف
نعيش كأنّا اثنان لم يتعارفا وما لهما فى الدهر شمل يُؤلَّف
ظلمتكِ خدناً صاحباً وظلمتِنِي فعلّ فراقاً آتياً هو أنصف

فخرى أبو السعود

أُغنيـــــة

بين يدى الشمس تسرى تحت السحاب

للأستاذ ابراهيم ابراهيم على

وجهُ مَنْ يا فجر هذا ما بدا من وراء الغيب فى الأفق الجميل ؟!
سحَرَ الطيرَ ، فغنّى وشـدا وترامت بهجة الدنيا تسيل
لهبٌ يندى على الكون ندى ! ناضر الجمرة كالخد الأسيل !
وجمالٌ فى جمالٍ فى جمالْ

ية للحق فى عليـــائها تختفى فى السحب شيئاً وتبين
يقف العقـــل لديها تائهاً وهى أم العقـل والصبح المبين
غيمة واحـــدة تلهو بها تحجب القرّاء حيناً بعد حين
أفسحرٌ ، ليت شعرى ، أم دلال ؟

أفهزلٌ ذاك يا أم الحياه ؟ لعبٌ فى الأفق، لهوٌ فى السحاب !
ما هو الكون جميعاً يا فتاه يرقب الأضواء من خلف الحجاب
يسكبُ النور ، ولكن لا تراه ! ثم يبدو من ثنيات الضباب
فى العلا نورٌ وفى الأرض ظلالْ !

بل هو الجدّ ، ولا هزل هنا ! بل هو الحق ، ولا حق سواه
بل هو الله ، تجـلى ودنا وتباركتَ قديماً يا إله !
تبعث الشمس كأطياف المنى كالرؤى يوماً ، و يوماً كالمياه
وجمالاً فى جمالٍ فى جمالْ

(قليوب) ابراهيم ابراهيم على
المحامى

حَنين

للأستاذ رفيق خوري

واهاً على زمنٍ ما كان أقصرَهُ فديتُهُ بدمى لو صانه الزمنُ
نفضتُ منه يدى والحرصُ يُمسكه والمرء حيثُ أراد الدهر مرتهَنُ
إن الذين دعتهم نيَّـةٌ قذُفٌ سر الضمير ، وقد فارقتهم علنُ
لا يستجيبون للمضنَى ، فدىً لهمُ
نفسى ، وكنتُ إذا ناديتُهمْ أذِنوا (١)
أكلما لاح برقٌ من ديارهمُ أجابه من دموعى عارضٌ هتن ؟
ما حيلةُ المرء فى الدنيا بنافعة إذا أُريد به الترنيقُ والحَزَنُ
ضلّ الفؤادُ الذى طار الفراقُ به لهفى على هائم ما إنْ له سكن
يا ليت شعرى يدانينا السرور كما كنا ، و يجمعنا بعد النوى وطن ؟

حمص رفيق خورى

(١) أذنوا : أى سمعوا



صور من هوميروس

١٦ - حروب طروادة

فزع الآلهة . . .

للاستاذ دريني خشبة

قلق زيوس من اعتزام أخيل اقتحام الحرب

وكيف لا يقلق سيد الأولمب وكل من الفريقين يصلي له ، ويطلب منه العون ، ويتوسل اليه أن يظفره بعدوه ، فتنجاب هذه الغاشية التي صرّعت الرجال ، وضرجت أديم الثرى بدماء الأبطال ! !

ودعا اليه أربابه فعقد منهم مجلساً للمشورة ؛ فانتظمهم ديوان الأولمب ، وحفلت بهم ذروة جبل إيدا ، وطفق الاله الأكبر يقلّب الرأي على جميع وجوهه ، ويبحث المسألة من شتى أطرافها ، والأرباب فيما بين ذلك يحملق بعضهم في وجوه بعض ، وتضطرم في أفئدتهم نيران العداوة والبغضاء ؛ لأنهم كانوا جميعاً وقلوبهم شتى ! فهذا فريق منهم يعطف على طروادة ، ويشيد بذكر طروادة ، بل منهم من اشترك في بناء طروادة وإقام أسوارها ، وتحصين سياصيها ؛ والطرواديون من أجل هذا قد أخلصوا العبادة لهؤلاء ، وأقاموا لهم الهياكل المشيدة ، والمعابد المنيفة ، وهم في طويل الأحقاب والآباد ما يفترون عن عبادتهم والأخبات لهم ، وتقديم القرابين والضحايا بأسمائهم

وفريق آخر من الآلهة يعتبر الشعب الهيلاني شعبه المخلص ؛ فهو لذلك يحدب عليه ، ويرجو الخير له ، وهو أبداً يستأذن سيد الأولمب فيحارب في صفوفهم ، ويشد أزرهم ، ثم الهيلانيون يخلصون العبادة لهذا الفريق ، وهم أبداً يتملقون بهم ، ويقيمون المعابد لهم في كل حنية من جبالهم ، وبكل منعرج من شعابهم ، ومنهم كل مثّال صناع اليد ، مرهف الحس ، رفيع الذوق ؛ وهم لذلك قد ملأوا المعابد والهيا كل بتماثيل الآلهة ، حتى ما تقع العين على أجمل منها !

وفريق ثالث لا الى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، ينقم على هذه الحرب الشعواء التي سُعّرت لغير ما سبب يستأهل كل تلك الضحايا ويستحل كل هذه المهج ؛ وهذا الفريق يحنق على طروادة ويحنق على هيلاس على السواء . ويود لو يأذن سيد الأولمب فيزلزل بهما الأرض ، أو يرسل عليهما كِسَفاً من السماء ، فلا يبقى على أحد منهم أبداً ! !

واتفق الآلهة على أن يذهب فريق منهم فيكون في صفوف الطرواديين يرشدهم ، ويدفع عنهم عادية أخيل ، ثم يذهب فريق آخر فيكون في صفوف الهيلانيين يفل من نشاطهم ، ويكسر من سورتهم ، حتى تكون الحرب بين الجمعين سجالاً ؛ وإلى أن يرى الآلهة في شؤون خلقهم رأياً آخر

وانطلقت حيرا مليكة الأولمب ، ومينرفا ربة الحكمة ، ثم هرمز رسول الآلهة وقائد الأرواح إلى هيدز . وفلكان الحداد وإله النيران ، الذي فضحه مارس في زوجه ، ونبتيون رب البحار العتيد الذي روّع الطرواديين في هذه الحرب أيما ترويع انطلق هؤلاء فكانوا في صفوف الهيلانيين

وانطلقت فينوس إلى صفوف الطرواديين ، وراح في أثرها أبوللو وأمه لاتونا وديانا ومارس وإكسانثوس ، وفئة غير هؤلاء من عشاق فينوس

وانبث الآلهة ينفخون في أبواق الحرب

وصاح أخيل في شياطين الميرميدون صيحة داوية . زادتها مينرفا قوة ؛ فما تركت فؤاداً إلا زلزلته ، وماغادرت نفساً إلا تركتها ترجف من خوف وفزع

وكان أبوللو ينظر الى أخيل فيتميز من الغيظ ، ويود لو يبطش به بغدرة من غدراته التي أودت بتروكلوس من قبل ، ولكنه أحس بفرائصه ترتعد ، وفقاره يندك من الرعب ، لما رأى حول

أخيل من هذه الأرباب المتعطشة للدماء ، لا سيما هذا الإله الوحش نبتيون الذي يرسل من عينيه بركانين من الغضب يضطرمان اضطراماً

وآثر أبوللو أن يستخفى في زي ليكاون بن بريام وصورته ، وأن يذهب من فوره إلى إينياس العظيم مستشار طروادة وأبسل شجعانها بعد هكتور ، فيثيره على أخيل ، ويلهب فيه نخوة الجاهلية التي سداها التفاخر بالأنساب ، ولحمتها التباهل بالأحساب ، والتبجح بأنا ابن من سمك السماء ، ودحا الأرض ، وأنبت فيها من كل زوج بهيج !

واستطاع أبوللو أن يهوّن على إينياس من شأن أخيل ، وأن يحقر في ناظريه خطبه ، واستطاع ببيانه الموسيقى ، وطلاقته السحرية ، أن يدفعه إلى ناحية أخيل ، الذي وقف مكانه يقذف الرعب في قلوب الطرواديين وأحلافهم ، باحثاً عن غريمه البغيض ، هكتور بن بريام ، يود لو يخلى بينه وبينه فيبطش به ، ويشفي هذا اللظى الذي يتأجج في جوانحه ، بما قتله أعز أصدقائه ، وأحب الناس اليه

ووقف إينياس تلقاء أخيل ، فتبسم زعيم الميرميدون ، ووعظ المحارب أن ينثنى فلا يلقى حتفه ، وذكره بما حدث بينهما قديماً ، حين ساق أخيل قطعان اينياس السائمة في سفح جبل إيدا ؛ وما كان من فرار اينياس ، هذا الفرار المضحك ، الذي أشمت به الأعداء ، وأثار عليه سخرية الأصدقاء والأوداء !

ولكن اينياس ، الذي كان ما يزال مأخوذاً بسحر أبوللو وموسيقاه ، أبى واستكبر ، وهز أعطافه ، ثم أخذته العزة بالإثم ، وانطلق يقذف في وجه أخيل بهذا التفاخر الذميم الذي لا يجدى في حلبة الحرب نفعاً ، ولا يجر على صاحبه مغنماً ، يوم لا حكم إلا للمرهف البتار ، ولا قول إلا ما يقول الفيلق الجرار

والتحم المحاربان العظيمان !

وارتطم الصخر بالصخر ، وثار النقع في الميدان وأظلم حتى قد تهاوت كواكبه ، ونظر الجمان نظرة القلق الحيران ، وأخذ الذهول يضرب أطنابه على الساحة الحمراء ، ونظروا فرأوا اينياس يستجمع كل قوته ، ويقذف برمحه العظيم فترده درع فلكان ، وإن تكن الطعنة قد شقت منها طبقتين ، وفترت ، فلم تصل الى فؤاد أخيل

وهنا !

اشتعلت نيران الدنيا في عيني زعيم الميرميدون ، وذاب في أعصابه حمم من الغضب ، وأرسل بدوره رمحه الهائل يرن على درع اينياس فلا يصيبه بأذى ، ولكنه ، لعظم الطعنة ، يصرعه ويطرحه فوق أديم الثرى فريسة رخيصة لغوائل الردى ، وضربات الرقاق البيض

وينحني أخيل من عربته الفخمة ، فيتناول حجرا عظيما ، قد يتعب عشرة من صناديد الرجال في حمله ، ثم يرفع الحجر ليقد به جمجمة اينياس . . .

ولكن ! . . . . . .

لا ! ينبغي ألا يقتل إينياس ، لأنه ابن زيوس سيد الأولمب ، وهو لو قتل لم يرض به أبوه ألف ألف أخيل ، وألف ألف ميرميدون كلا أخيل ! . . .

هكذا قدر نبتيون ! وقتل نبتيون كيف قدر ! !

لقد أرسلها إلى حيرا ، مليكة الأولمب التي كانت قريبة تشهد الحدث الأعظم ، قولة غير صادقة إلا في زعم نبتيون !

وعارضت حيرا في تدخل نبتيون ، ولكنه ، لشدة حبه أخيل ، لم يسعه إلا أن يسرع إليه فينشر أمام ناظريه ضبابة كثيفة حجبت عنهما هدف إينياس ، ثم انكفأ يحمله بعيداً من أخيل ، حتى انتهى الى صفوف الطرواديين الخلفية ، فسجاه على العشب الأخضر ، وأخذ في نصحه ألا يجازف بنفسه أمام أخيل كرة أخرى ! !

وكان الجمان ينظران إلى إينياس محمولاً في الهواء . . فيأخذ العجب منهما كل مأخذ ! !

* * *

وامحت الضبابة ، وبطل السحر ، ونظر أخيل فلم يعثر لأينياس على أثر ، وشدهه أن ينجو خصمه من قتلة محققة ، فيلق في روعه أن إينياس سليل الآلهة كما ادعى منذ لحظة ؛ ثم يشدهه أكثر نجاة الميرميدون والميلانيين على السواء ، بعد إذ رأوا الى إينياس محمولا في الهواء !

ويحفهم أخيل على خوض المعمة ، ويستطيع بحماسياته أن يلهب في صدورهم روح الاقدام . . .

ويكون هكتور في هذه اللحظة قائما في جنوده يحضهم هو الآخر ويطمئنهم أن الآلهة معهم فلا يخافون ولا يحزنون . وراه أخيل فيخفق قلبه ، ويملؤ صدره ويهبط كأنه الخضم الغاضب . ويدفع عربته نحوه ، فتندفع الخيل ، وكأن النيران تندلع من عيونها وأنوفها . . . .

وكان أبوللو إلى جانب هكتور ، فلم يرض له أن يلقى أخيل

الذي ما خاض المعمعة الا ليثأر لصديقه بتروكلوس

وكاد هكتور لا يأبه لكلام أبوللو ، وتقدم فعلا ليرى حيل ، ولكن الآله الكبير زجره زجراً شديداً ، ثم أمره بالتقهقر في الحال ... فانسحب بطل طروادة ، وترك أخيل يحرق الأرّم مكانه ، إذ أفلته هذا الصيد الثمين ! !

وانقض أخيل يشفي غيظه بقتل عشرات وعشرات من أبطال طروادة فصرع إيفتيون العظيم ابن عذراء البحر ، ثم ثنّى بالـكميّ الكبير ديموليون ، شج رأسه فانبثق الدم يتفجر منه ، وبرز المخ ، وذهبت روحه إلى هيدز ! ثم ثلّث ببطل الأبطال هبوداماس ، شكه شكة تركه يخور كخوار الثور ، مسوقا إلى مذبح الآلهة ... ثم انقض على بوليدور بن بريام ، ملك طروادة ، فطعنه في ظهره طعنة صرعته ، ونشرت ظلام الموت في عينيه ، فهوى إلى الأرض يئن أنينا مؤلما ، أبكى الجند ... وأحزن أخيل نفسه ...

لقد كان بوليدور أحب صغار بريام اليه ، وكان يجري فيسابق الريح ، وينازل القروم الصيد فيصرعهم عشرات ووحداناً ، فيا حزن أبيه الملك عليه بعد اليوم ! !

وكأن ظلام الموت الذي خيّم على عيني بوليدور امتد حتى ظلل عيني هكتور ! ولم تكن الحياة رخيصة في نظر بطل طروادة مثلها اليوم ، فقد فجعه أخيل في بوليدور ، فلا بد أن يفجع ذبتيس وبليوس ، والدي أخيل ، في أخيل نفسه ...

وألهب جياده فاندفعت بعربته ناحية أخيل ...

واستبشر زعيم الميرميدون حين رأى هكتور يسرع ناحيته قدما ، وذكر أنه قاتل بتروكلوس فدارت به الأرض ، وذكر أن بتروكلوس ينتظر ثأره ميتا ولا بد أن يعود أخيل اليه به ، فتقدم نحو هكتور وقال له :

« هلم يا بن بريام فتعجل قتلتك ، وودع الحياة الحلوة التي لن تهنأ بها بعد اليوم ! ! » وتجهم هكتور ، وكلم أخيل فاعترف أنه أقوى منه ، وأطول في مواقف الحرب باعاً ، ولـكنه حذره من الغرور ؛ « ومن يدري ؟ ! هل أوحت اليك السماء أنك تقتل هكتور ؟ وهل أخذت على المقادير والأقضية عهداً ألا يصرعك هكتور ... » ثم انقض بن بريام فأرسل حربته الظامئة إلى صدر أخيل ، ولولا أن مينرڤا كانت إلى جانبه تحرسه ، ولولا أنها زحزحته قليلا فتفادته الطعنة ... لـكان أخيل حديثاً من الأحاديث

وبهت أخيل ، ثم صاح صيحة رجف لها جانب الجبل ، وجاوبتها أسوار طروادة ، ورددت أصداءها أجواز السماء ؛ وانقض على هكتور يود لو يقتلعه من عربته فيخبط به الأرض ، وتذهب روحه بعدها إلى الجحيم ! ...

وكان أبوللو إلى جانب هكتور هذه المرة ، كما كان إلى جانبه دائما ؛ وراع الآله الأكبر أن يهجم أخيل تلك الهجمة التي يعجز عن مثلها مارس الجبار نفسه ...

وذهل أبوللو ماذا يصنع ، ليقي بطله من رمح أخيل ؟ !

ثم ذكر ما صنعه نپتيون من أجل اينياس ، فنشر ضبابة كثيفة أمام ناظري أخيل ، وتقدم إلى هكتور فحمله ، وذهب به الى حيث يكون بنجوة من مصير محزن ، كان يوشك أن ينتهي اليه . . . . .

وظل أخيل يطعن الضبابة ، مشدوه اللب حيران ! !

طعنها مرةً ، ثم مرةً ثانيـة ، ثم ثالثة ، ثم ما كاد يطعنها الرابعة حتى امحت وبطل السحر ، وانكشف له الميدان يضج بالجند ، ويعج بعدة الحرب ، ولـكنه مع ذاك ، وغير ذاك . . . . خلو من هكتور ! ! . . . .

« جبيل يا هكتور ! ! صل للآله الذي أنقذك اليوم مني ! صل لربك أبوللو ! لقد أنجاك من قتلة بينة ، وموتة محققة . . . صل له يا هكتور ! ولـكن ثق أننا سنلتقي بعدها ، ولا أدري هل ينقذك الـهك عندها ؟ ! إن لي أربابي التي تحميني ، والتي إن فوجئت بغادر مثلك فهي تنجيني . . . . . سنلتقي يا هكتور . . . . فصل الآن لأبوللو واشكر له . . . . . »

***

وثار أخيل فـكان زوبعة !

وطفق يصرع أبطال طروادة ، فطعن دريوپس طعنـة اخترمت حياته ، ثم جندل دماخوس وأسرعت روحه إلى أمواج ستيكس المنصهرة ، وتقدم فأطاح رأس دردانوس المتبد ، وجال جولة هنا وجولة هناك ، فـكانت المنايا تتعثر أنىّ ذهب ، وأيان صار ، فهذا تروس البطل ملق على الأرض والدم ينبثق من كبده ، وموليوس الصنديد زائغ العينين يتوجع مما ألم به ، وإخكلوس ابن أجينور تساقط نفسه حشاشات ، ثم ديكاليون الذي دوخ الجيوش وروع الأبطال ، وبث اليتم في كل دار ... ها هوذا فوق الثرى صعيداً جرزاً ، وجثماناً يتدفق الدم من جراحه ... نهاية حمراء لحياة حمراء ... كلها حرب وتقتيل !

ورجوس ! !

البريد الأدبي

كتاب عن المسألة الحبشية

أثارت المسألة الحبشية واعتداء الاستعمار الايطالى على الحبشة نشاط المؤرخين والكتاب كما أثارت اهتمام الساسة والرأى العالمى، وظهرت فى الآونة الأخيرة عدة كتب ومباحث تاريخية وسياسية واقتصادية وعسكرية عن إيطاليا والحبشة وكل ما يتعلق بتلك المشكلة الخطيرة التى ما زال يضطرب لها العالم كله منذ أشهر .

وكان مما ظهر أخيرا فى ذلك الموضوع كتاب للكاتب الانكليزى اميل بيرنز عنوانه « الحبشة وايطاليا » (١) واميل بيرنز كاتب اشتراكى ، وكتابه حملة قوية على الاستعمار الغربى ، وأحدث فوراته ونزعاته أعنى الاستعمار الايطالى . ويقول الكاتب فى مقدمته إنه يقصد بما يكتب أن يبين الأسباب الدفينة التى تجثم وراء الحوادث ووراء ستار المظاهر الدبلوماسية ؛ والحوادث الظاهرة هى اعتداء ايطاليا المسلح على الحبشة ، وعمل انكلترا وفرنسا السياسى فى عصبة الأمم أو خارجها ، وليس هذا العمل فى نظر اميل بيرنز سوى مؤامرة استعمارية

ويستمد اميل بيرنز أدلته من حوادث التاريخ الحبشى منذ سبعين عاما ؛ فتاريخ الحبشة يحفل خلال هذه الحقبة بمشاريع انكلترا وفرنسا وايطاليا ودسائسها المستمرة ، وكل تغالب الأخرى فى سبيل الحصول على النفوذ الأوفر فى الحبشة ؛ والرأسمالية الاستعمارية من وراء السياسة تحاول أن تضع قدمها فى تلك الأرض الغنية . وليس عمل إيطاليا الا اعتداء فى سبيل الاستغلال والسلب ؛ ذلك أن أحدا فى العالم لم يصدق أن إقدام إيطاليا على اتخاذ هذه التدابير العسكرية كان من باب الضرورة والتحوط وليست لها صبغة اعتدائية ، وأنها ليست إلا ضمانا للسلام والأمن ضد أمة همجية ، ولم يدهش إنسان بعد ذلك أن يرى هذه الاجراءات تتخذ فجأة صبغة الغزو المسلح ، وأن تتحدى إيطاليا رأى العالم المتمدن كله ، ولم تقم الدول الاستعمارية الأخرى بعمل حاسم لمنع هذا الاعتداء ، وإذا كانت قد فعلت شيئاً فذلك لأن الموقف النبيل الذى وقفه النجاشى كان مثارا لاعجاب العالم وعطفه

وقد كانت الحبشة فريسة الاعتداء الدبر ، وكان لايطاليا أن تحمد الفرصة السانحة من كل وجه وخصوصا لأن موقف الحكومة القومية الانكليزية فى تأييد سياسة النازى (الهتلريين) فى ألمانيا قد دفع فرنسا إلى أحضان إيطاليا وانتهزت إيطاليا هذه الفرصة لتضمن تأييد فرنسا لها فى افتراس الحبشة . بل لقد حاولت انكلترا أن تعمل على اقتسام الحبشة مع إيطاليا ، ومن أجل ذلك قدمت مشروعها بالتنازل عن زيلع الى الحبشة

ويتناول المؤلف بعد ذلك العوامل الاقتصادية التى دفعت بالحكومة الفاشستية إلى اعتدائها ، ويسرد الأدلة على أن « التمركز المالى » هو الذى يدفع الى هذه النزعة الامبراطورية ثم يتحدث بعد ذلك عن « الفاشستية وعصبة الأمم » ويبين لنا كيف أن الرأسمالية من وراء كل حركة وإجراء تعمل باسم

(١) Abyssinia anb Itaiy

رجوس بن بريوس ؛ الذى شد رحله من تراقية لينصر الطرواديين على بنى وطنه . . . قائداً جموعه التى لا حصر لها ؛ مؤلباً القبائل والأنجاد على الأرض التى أنجبته ، والآلهة التى نشأته . . . لماذا ؟ لا سبب معقول ! ! ولكنه طيش الملك وغروره وكبرياؤه . . . ولأن الميلانيين لم يختاروه قائدا لهم فى هذه العشوْزنة الزبون ! !

لقد امتشق أخيل سيفه ، وأصلته على رأس رجوس ، ثم أهوى به ، فخر الخائن يتشحط فى دمه .. .. وانتهت بموته حياة ذميمة

وزُلزل قلب أريثوذ ... حارس رجوس وسائسه ... فود لو فر بعربة سيده ، لولا أن عاجله أخيل بضربة قدت أضالعه ، وذهبت بروحه إلى حيث ذهبت روح مولاه .. .. ؟

(لها بقية) دريني خشبة

الأقليات وباسم الانتدابات ؛ وكيف أن الرأسمالية الخصيمة تحاول أن تقضي على أي مشروع للصلح يتضمن أي مغنم للرأسمالية الفاشستية ، وهذا بصرف النظر عن قضية الحبشة وعدالتها . والآن تسنح فرصة بديعة لسحق الفاشستية ونظمها الطاغية ، ولكن هل تنتهز الدول هذه الفرصة ؟ ويقول لنا الكاتب إن الواقع أن حكومة انكلترا القومية إن هي إلا حكومة فاشستية بمعنى الكلمة لا ينقصها سوى الاسم .

ويعرض المؤلف نظرياته وأدلته بقوة ووضوح ولا سيما فيما يتعلق بالمسألة الايطالية الحبشية ، ويسبغ على عرضه صبغة اشتراكية واضحة ولكن معقولة متزنة ، وكتابه يعتبر من خير الكتب التي أخرجت أخيراً في موضوعه ، ويمتاز بالنسبة للشعوب الشرقية بأنه حملة قوية منظمة على الاستعمار وأساليبه تثلج صدر كل شرقي يرى أساليب الاستعمار الهمجية تعمل في وطنه وأمته

ذكرى غزوة بدر الكبرى

تألفت بالقاهرة لجنة من الشباب للاحتفال بذكرى غزوة بدر الكبرى في ١٧ من رمضان لأنها أول نصر حاسم في تاريخ الاسلام . وستكون الحفلة برياسة الدكتور محمد حسين هيكل . ومن خطبائها الأساتذة الدكتور محمد حسين هيكل ، الشيخ عبد المجيد اللبان شيخ كلية أصول الدين ، السيد محمد الغنيمي التفتازاني ، الدكتور عبد الرحمن شهبندر ، محمد افندي عبد الباقي سرور نعيم ، الشيخ أحمد البهي مندوب الأزهر ، أحمد أفندي شوقي مندوب كلية الحقوق

وسيكتب في هذا الموضوع الأساتذة محمد جاد المولى بك ، أحمد حسن الزيات ، حفني محمود ، محمد علي غريب ، عبد الحميد المشهدي .

كتاب (محمد) للأستاذ توفيق الحكيم

كتب الأستاذ توفيق الحكيم رسالة إلى أحد أصدقائه الفرنسيين في اكتوبر سنة ١٩٣٤ ، جاء فيها عن كتابه (محمد) ما يأتي : « إن كتابي عن محمد (ص) لا يزال في طور التحضير والتهيئة ، وعسى أن أتمه في الشتاء المقبل . وسأبرز فيه النبي الكريم متكلماً بكلامه المأثور ، في صورة تستوعب حياته المجيدة ، كما يتصورها الفنان ، لا كما يفهمها العالم والمؤرخ . . . »

الصقالبة في الرواية العربية

الى الأستاذ المحقق محمد عبد الله عنان

قد قرأت لحضرتكم في عدد الرسالة (رقم ١٢٦) مقالا تحت هذا العنوان ، وفيه عبارة لابن حوقل عن صقالبة الأندلس ، جاء فيها: « فنصف بلادهم (الصقلب) يسبيه الخراسانيون ويصلون ، والنصف الشمالي يسبيه الأندلسيون من جهة جليقية وإفرنجة وانكبردة وقلورية ، وبهذه الديار من سبيهم الكثير » . ثم استنتجتم من ذلك أن لفظة الصقالبة كانت تطلق على سكان هذه البلاد المذكورة ، والذي يغلب على ظني أن هذه العبارة لم يرد بها ذلك ، بل المراد وصف الطريق التي كان يسلكها سبي الصقالبة ، حتى يصل إلى الأندلس ، فهل عند الأستاذ ما ينفي هذا الظن ؟

(قنا) عطية الشيخ

الانسان والكون — آراء علمية جديدة

ألقى العلامة الطبيعي الانكليزي الأشهر سير جيمس جينس أخيراً محاضرة عن « الانسان والكون » حمل فيها بشدة على مادية العلم القديمة ، وقال إنه يعتقد أن الانسان ليس آلة صماء ، وانه يناضل في الواقع من أجل مصيره ، وانه قد أحرز أخيراً نجاحاً لاشك فيه . بيد أنه ما زال عليه أن يناضل من أجل مركزه في المجتمع ، فاذا أخفق في هذا النضال فقد يستأصل ويقضى عليه كما قضي على أجناس وفصائل أخرى من قبل ، وفي هذه الحالة يكون الانسان ضحية جنس آخر من صغار المخلوقات ، ربما كان هو الميكروبات التي لا يراها لصغرها

وإذا نجح الانسان في هذا الصراع واستطاع أن يظفر بتوطيد مركزه ، فان مواهبه وكفاياته قد تتسع وتزيد تدريجياً حتى يتحول إلى شيء آخير غيرما هو اليوم عليه وربما كان شيئاً أرفع مما هو عليه . وقد تختلف عنا سلالتنا بعد عشرة ملايين سنة كما نختلف نحن عن أسلافنا المنحطين منذ عشرة ملايين سنة . وشر ما يخشاه الجنس الانساني هو الهزيمة والعدم ، وخير ما يؤمله هو أن يغدو قنطرة منسية للطريق إلى أشياء أسمى

وقد لاح في وقت ما ان نظرية « النسبية » قد وضعت حداً لكل الآمال التي تساور الانسان في جعل العالم أكثر رفاهة وسعادة وجمالاً وأكثر نبلاً وعدالة طبق مثله الخاصة

أما الآن فلدينا أسباب كثيرة تحملنا على العودة إلى اعتقادنا فى أن الماضى والحاضر والمستقبل لها فى الواقع معنى موضوعى وليست هواجس تهجس فى عقولنا ، وبعبارة أخرى يجب علينا أن نعتقد أن الزمن إنما هو حقيقة مادية

واستعرض السير جينس بعد ذلك ما وصل إليه العلم فى شأن « الذرة » وما يقال من أنه لا يمكن سير الذرات ، وأن سير الطبيعة يقوم على غير نظام وتقرير سابق ؛ ومن رأيه أن العلم عاجز عن أن يقدم أى تحديد أو أى تدليل على مسألة « الخير » القديمة ؛ وقد يكون الانسان أو لا يكون آلياً ، ولكن العلم لا يستطيع أن يبرهن على أنه ليس آلياً ، ثم هو لا يستطيع أن يبرهن أنه آلى قال ؛ وإذا استعرضنا تاريخ العلوم فى جملته ، فانا نرى المعارف العلمية ما تزال ترغم الانسان على أن يخفض من تقدير نفسه ومركزه فى الكون حتى بدء القرن الحالى ، أما أنا فأرى أن التيار قد أخذ يتطور ، وأننا على ضوء المعلومات التى ترتبت على نظرية النسبية والكمية ، نستطيع أن ننظر إلى مركزنا فى شىء من التفاؤل لم يسمح به العصر الفيكتورى »

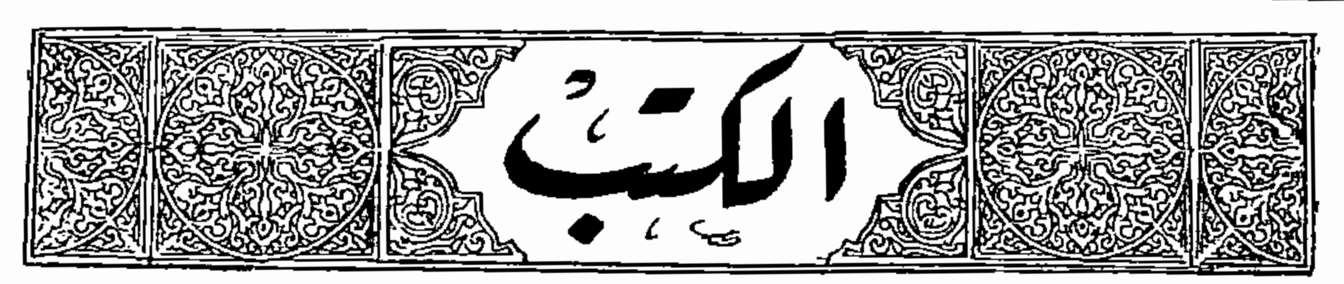
شرعية الانتحار

يعرض فى القريب العاجل على مجلس اللوردات الانكليزى مشروع قانون فريد فى نوعه ، يراد به تقرير شرعية الانتحار ، أو بعض أنواع القتل ؛ ففى العهد الأخير وقعت فى انكلترا عدة حوادث رنانة مؤثرة ؛ قتل فيها الابن اباه ، والزوج زوجته ، والعاشق حبيبته ، ولم يكن قتلا عاديا أو له صفة الجريمة ، بل كان تتلاميمثه الاشفاق والحب ، وكان فى الغالب بناء على طلب المجنى عليه ؛ وكان المجنى عليه أو القتيل فى معظم الأحوال يشكو مرضا لا يرجى برؤه ويعانى آلاما مروعة يريد أن يتخلص منها بالخلاص من حياته ، فيطلب الى أحب الناس اليه أن يقوم بهذه المهمة الأليمة . وقد وقعت عدة حوادث من هذا النوع ، وقدم « الجناة » أو الذين ارتكبوا القتل بهذه الطريقة الى القضاء فحكم القضاء فى الغالب بالبراءة إزاء الظروف المؤثرة التى وقع فيها القتل ، وإزاء انعدام نية الجريمة من جانب المتهم ولكن بعض « الانسانيين » وأنصار هذا النوع من الاعدام يخشون أن يقسو القضاء فيعامل المتهمين فى هذه الحوادث بالشدة وينال قصاصه المؤلم ، لأن الانتحار يعتبر فى القانون الانكليزى جريمة ويعاقب كل من اشترك فيه أو ساعد عليه ؛ ولذلك رأى بعض اللوردات أن يقدم الى المجلس مشروع قانون يبيح القتل فى مثل هذه الأحوال ، وقد روعى فى هذا المشروع أنه توجد حالات أليمة يشتد فيها المرض والألم على الفريسة فيتمنى كل من حولها لها الخلاص من هذا العذاب ، ويعتبرون من واجبهم المقدس أن يلبوا طلبها فى الاجهاز عليها وانقاذها من ذلك الجحيم ؛ ولكن روعى من جهة أخرى أنه قد توجد حالات يتمنى فيها أهل المريض المعذب وفاته بسرعة ليحظوا بالارث والثراء ؛ وقد ينتهزون فرصة آلامه ، وهذيانه فينتزعون منه اقراراً كتابياً بطلب الموت ، ثم يجهزون عليه ؛ ويتذرعون بهذا الاقرار للافلات من العدالة ؛ ففى هذه الحالة يتطلب القانون الجديد أن يقع مثل هذا الاقرار على يد موظف عمومى ؛ وذلك بعد أن يصدر الطبيب المختص قراره بأن المريض لا يرجى برؤه وانه يعانى آلاما لا يمكن احتمالها مع الحياة ؛ ويشترط مشروع القانون أيضا أن الذى يقوم بعملية الاعدام أو الاجهاز على الفريسة طبيب مرخص له بذلك .

وهكذا يراد أن يشرع حق الانتحار ، وأن يمنح حق الاعدام فى ظروف معينة ؛ وسنرى ما اذا كان مجلس اللوردات يقر هذا القانون المدهش

معرض الفن الصينى

افتتح أخيراً فى لندن فى « برلنجتون هاوس » معرض الفن الصينى الذى كانت تتخذ العدة لافتتاحه منذ أشهر . وقد عرضت فى هذا المعرض تحف وآثار صينية نفيسة يرجع الكثير منها إلى نحو ثلاثة آلاف سنة . ومعظم هذه التحف الرائعة ملك الصين ولكن الحكومة الوطنية الصينية ارتضت أن تعيرها للسلطات الفنية البريطانية بعد مفاوضات طويلة ؛ ونقلت المعروضات فى طرادة بريطانية مسلحة وأخذت إلى لندن لتعرض هنالك على أنظار العالم المتمدن . وتدل هذه التحف على أن الصين كانت قبل آلاف السنين تتمتع بحضارة رائعة تضارع فى ازدهارها وروعتها حضارة مصر القديمة ، وتدل على أن الفنون الصينية بلغت مبلغا عظيما من الافتنان . وقد كان الابتكار يقترن لدى الفنان الصينى مع الصبر وتخير النماذج الفائقة . وأقدم التحف المعروضة هى آنية للمراسيم الدينية صنعت من البرونز ويرجع صنعها إلى سنة ١٧٦٦ قبل الميلاد ؛ وكان البرونز أول مادة استعملت فى الفن الصينى ؛ ولم يبدأ النحت البوذى الا فى القرن الرابع أو الخامس الميلادى . وقد كان افتتاح المعرض الصينى حادثا فنيا عظيما فى انكلترا ، وهرعت الجماهير الحاشدة لرؤيته من أنحاء الجزر البريطانية وأمم القارة الأوربية



كتاب التشريح المرضى والجنائى

تأليف الدكتور محمد زكى شافعى

بقلم الدكتور محمد الرافعى

لا أسهل فى العلوم من اختصارها ، ولا أيسر من اخراج الكتاب الضخم مُحَصَّلا فى جزء لطيف . وقد كانت هـذه طريقة علمائنا المتقدمين ؛ فليس من كتاب ذى خطر إلا وقد اختصروه مرة أو مراراً ، يريدون إما تقريبه من الأذهان وإما حصر فوائده ، وإما جعله كالمذكرات . وقد يعجز بعض العلماء عن التأليف ويريد مع ذلك أن يكون مؤلفاً فيجـد مادته من الكتب المطوّلة يؤلف منها ما يسميه المختصر أو الوجيز أو نحو ذلك . وهذا كله سهل ، بل بعضه أسهل من العبث إلا فى الطب ، وخصوصاً حين يكون الاختصار فى فرع من فروعه التى اختص بها علماؤها كهذا الكتاب الذى نحن بصدده

إن وضع كتاب مختصر فى فرع من الفروع الطبية وخصوصاً باللغة العربية هو عمل من أشق الأعمال ، وأدقها إذا أريد أن يكون الكتاب مع اختصاره وافياً فى موضوعه ، محققاً لفائدة الأصل المطوّل ، جامعاً لفوائد جديدة تعطى الكتاب حكم التأليف مع تسميته المختصر . ومادام الطب شرحاً للجسم المعجز فى تركيبه وأعماله ودقائقه المحيرة للعقول ؛ فالتأليف فيه لا ينتهى ، واختصار المؤلفات فيه لا يكاد يوفّق إليه إلا النوابغ المحيطون أوسع إحاطة ، والمتمرنون تمريناً طويلا ، والمتتبعون لكل جديد

ومن هؤلاء مؤلف كتاب (التشريح المرضى والجنائى) الدكتور محمد زكى شافعى ، مدير المكتب الفنى بمصلحة الصحة العمومية بمصر . وقد قال فى مقدمة كتابه هذا : « لقد اشتغلت حوالى العشرين عاما بالطب الشرعى ، ولا أزال أعمل الآن مراجعة بعض الأعمال الخاصة به ، وكثيراً ما استرعى نظرى أن الحاجة ماسة أشد مساس الى كتيب خاص بالتشريح المرضى والجنائى ، يرجع اليه الطبيب الكشاف إذا أعوزه الأمر للاطلاع العاجل ، فانه كثيراً ما يجد نفسه فى مأزق حرج ، إذ يطلب إليه – وهو بعيـد عن مراجعه – الفصل فى مسائل فنيـة دقيقة الخطورة ، يتوقف على الاجابة عليها مصير متهم قد يكون بريئاً

ولقد كنت أشعر بهذه الحاجة فى أثناء ممارستى للتشريح ، ولا سيما فى الجهات التى أكون فيها بعيداً عن مراجعى ، وكل الأطباء يدركون دقة هذا الموقف

ولقد عرضت على زميلى « الدكتور لبيب شحاته » أن نعمل على سد هـذا النقص ، فوضعنا معا هذا الكتاب ، وتوخينا فيه أن يكون عملياً أكثر منه نظريا ، وجعلناه واضح العبارة ، سهل المأخذ ، حتى ينتفع به كل مشتغل بالطب الشرعى ، وانتقينا أحدث المعلومات ، وأرجحها قبولا لدى جمهرة الأطباء الشرعيين ولذلك اضطرتنا الحال إلى الاطلاع على مراجع عديدة علاوة على المذكرات الشخصية »

ومع أن الكتاب كما يصفه حضرة مؤلفه فقد وقع فى ٤٩٠ صفحة ، وبلغت المراجع التى اعتمد عليها واضماه عشرين مرجعا ، يضاف اليها اختبار المؤلف وتحقيقه مدة عشرين سنة ، وذلك فضلا عن رجوعه فى بعض مسائل كتابه الى كثير من الأساتذة المختصين ، بحيث جاء الكتاب عظيم الفائدة للمشـــتغل بالطب الشرعى ، وللطبيب المشرح ، ولمن يتصلون بالحوادث الجنائيـة من القضاة ورجال النيابة والمحامين فهؤلاء جميعاً يهتدون فيه الى أدق المسائل الفنيـة بأيسر طريقة وأسرع وقت ، ويصيب كل منهم غرضه الفنى أو القضائى . وقلما يحتاج مع هذا الكتاب إلى الأصول المطولة إلا فى التدريس ، على أنه فى التدريس ذو قيمة ثمينة إذا جعل للطالب كالتذكرة التى يدون فيها خلاصة علمه . هذا وإن ضم التشريح المرضى الى التشريح الجنائى فى كتاب واحد عمل فنى بديع لم يُسبق اليه .

وأما وقد درست هذا العلم على الفحول من رجاله فى فرنسا ، لا يسعنى إلا أن أهنئ الدكتور محمد زكى شافعى ، ومساعده الفاضل الدكتور لبيب شحاته بكتابهما وعما وفقا فيه ، فهو توفيق يستحق التهنئة العلمية

الدكتور محمد الرافعى
خريج جامعة ليدن بفرنسا

لباب الآداب لابن منقذ

تحقيق وتعليق الأستاذ احمد محمد شاكر

للأستاذ محمد بك كرد علي

بنو منقذ أصحاب قلعة شيزر من عمل حماة في الشام كانوا معروفين على عهد الحروب الصليبية بالفروسية والسياسة والأدب والأمارة ، وقد خلد أسامة بن منقذ (٤٨٨ — ٥٨٤ ﻫ) أحد رجال هذا البيت بأدبه ذكر آله في التاريخ . ولما طبع له العلامة درنبرغ كتاب « الاعتبار » في سنة ١٨٨٤ م بمدينة ليدن في هولاندة اشتهر أسامة بين الأدباء في الشرق والغرب ، لما حوى كتابه من أخبار البطولة والشجاعة ، ولأنه صُنّف على غير مثال . وقد طبع له درنبرغ أيضا كتاب العصا وغيره في باريز ، وعُني بجمع أخباره بالفرنسية وخدمه وأولع به

والآن طبع الأديب لويس سركيس في القاهرة كتاب « لباب الآداب » لأسامة أيضاً ، وتولى تحقيقه والتعليق عليه الأستاذ أحمد محمد شاكر ، وحلاه بفهارس الأعلام وأيام العرب والأماكن والقوافي ، وشكله تقريبا بالشكل الكامل ، فقرّب فوائده من يد المستفيد ، وأضاف الى ما طبع من كتب الأدب القديم سفراً آخر قال في وصفه إنه من أجود كتب الأدب ، وإن فيه أقوالا من نثر ونظم لم يجدها في كتاب غيره من الكتب المطبوعة

قسم المؤلف كتابه الى عدة أبواب فيها عظة وتعليم وأهداه لابنه الأمير مُرهف ، وجعل أبوابه في الوصايا والسياسة والكرم والشجاعة والآداب وكتمان السر والأمانة والتواضع وحسن الجوار والصمت وحفظ اللسان والقناعة والحياء والصبر والرياء والاصلاح بين الناس والتعفف والتحذير من الظلم والاحسان وفعل الخير والصبر على الأذى ومداراة الناس وحفظ التجارب وغلبة العبادة والبلاغة . وهناك فصول من كلام رسول الله والصحابة وغيرهم ، ومن كلام سليمان الحكيم وبرسين الحكيم وافلاطون ، ونوادر فيثاغورس وسيخانس ، ومحاسن شعر الحكماء ، وأبواب في المديح والتشبيه ومشي النساء والخفر والشيب والاعتذار والعتاب والمراثي والغزل والحكمة . يبدأ المؤلف كل فصل بآيات كريمة ويشفعها بما ورد من الأثر ثم الشعر ثم أقوال الحكماء في هذا المعنى

وذكر العلق على الكتاب أنه وقعت في طبعته هذه بعض أغلاط ، مع كل ما عاني في تصحيحه ، جاء بعضها سهواً منه ، وبعضها من خطأ النظر ، وبعضها من الأغلاط المطبعية التي لا يتنزه عنها كتاب . ونحن نقيم من كلامه هذا عذرا لكل من أحيا كتاباً للقدامى ؛ وليس من الانصاف أن يُحمل على كل من ارتكب خطأ من هذا القبيل بعد بذل الجهد ، فقد تسرع الناظر في هذا الكتاب وقال (ص ٢٦) إن كتاب العصا هو كتاب القضاء لا العصا ، وليس في جريدة مؤلفات أسامة كتاب في القضاء وإنما هو كتاب العصا المطبوع . وذكر (ص ٢٢) (الأمير معين الدين أتر وزير شهاب الدين محمود) وليس في التاريخ الاسلامي من اسمه أتر ، وإنما هو اتسز وهي كلمة تركية معناها لا لحم له ، أو الرجل الضرب الخفيف اللحم غير الجسيم . واتسز هذا هو مملوك جد مجير الدين أرتق بن محمود ابن بوري بن طغتكين ، وكان عاقلاً ديناً محسناً لعسكره (راجع كتابنا « خطط الشام » م ٢ ص ٢١) . ومن ذلك في صفحة ١٩٢ (تباة البلد) قال ولعلها جمع تاب بوزن غاز وغزاة من قولهم تبا اذا غزا وغنم وسبي . ونحن أميل أن تكون (تُنّاة البلد) أي سكانه من تنأ تنوءا أقام ، ويقولون (الطراء والتناء) أي النزلاء والقيمون وهي الأولى بالمقام

وتسرع أيضاً (ص ٢٨) ونقل ظن بعض أهل العلم أن كتاب « الأدب والمروءة » الذي نشرناه في مجلة المقتبس ، ثم ضممناه الى الطبعة الثانية من « رسائل البلغاء » في سنة ١٣٣١ – ١٩١٣ هو لصالح بن عبدالقدوس لا لصالح بن جناح كما ذكر ناشره أستاذنا العلامة الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله ؛ قال « ولعله — أي صالح ابن عبدالقدوس — أخفى نفسه بهذا الاسم في بعض الأوقات خوف الطلب » . والحقيقة أن كتاب الأدب والمروءة هو لصالح بن جناح ترجم له ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق ، فقال إنه صالح بن جناح اللخمي الشاعر أحد الحكماء ؛ حكى عنه أبو عثمان الجاحظ أنه ممن أدرك الأتباع بلا شك ، وكلامه مستفاد في الحكمة . وقد أخذ عنه الجاحظ في نيسابور وقال عنه دمشقي ؛ ونشر ابن



٢ - تاريخ الاسلام السياسي

تأليف الدكتور حسن ابراهيم حسن

بعض مآخذ تاريخية وجغرافية

لأستاذ كبير

أتيت في كلمتي السابقة على قليل من المآخذ التاريخية التي تورط فيها مؤلف « تاريخ الاسلام السياسي » وقد لحظ بعض الذين قرأوها أنه كان الأفضل ألا أورد هذه المآخذ مسرودة على نحو ما فعلت بل أن أوردها مقرونة بأسبابها الجوهرية. وأجيب عن هذه الملحوظة التي لها وجاهتها العامة بأن من المفيد في نقد كتب التاريخ أن ينصب النقد أولا على الوقائع مجردة. فان التاريخ من الناحية التحليلية البحتة يقوم على الوقائع التاريخية التي هي مادته الأولية. وبمقدار تزود المؤرخ من هذه المادة الأولية وتمكنه منها احاطة، وتقويما، وفهما، تكون متانة أحكامه التي يستنبطها وافتراضاته التي يذهب اليها، والعكس بالعكس. وإذاً فلا بأس أن أمضي في كلمتي هذه في إتمام ما أخذت فيه في كلمتي السابقة من الأتيان على أجسم ما في الكتاب من المآخذ التاريخية، مقفيا على أثر ذلك بإيراد شيء مما وقع فيه المؤلف من الأغلاط الجغرافية، والتاريخ والجغرافيا صنوان مؤتلفان، وهما ظرفا الزمان والمكان لما يسمى بوقائع التاريخ

***

قال المؤلف في ص ٣٤٠ في معرض الكلام على الوقعة البحرية العظيمة المعروفة في كتب العرب بذات الصواري: « وفي سنة ٣١ هـ نشب القتال بين ابن أبي سرح وبين الروم تحت قيادة ملكهم قسطنطين في البحر الأبيض المتوسط، على مقربة من الاسكندرية، وكان النصر للعرب في هذه الحرب، وقد عرفت هذه الوقعة بوقعة الصواري أو ذات الصواري » والمؤلف يخطيء هنا من حيث زمان الوقعة ومكانها، فأما من حيث الزمان فالوقعة قد ذكر في المصادر العربية أنها كانت سنة ٣١ هـ ولكن هناك رواية أخرى تجعلها في عام ٣٤ هـ، وقد ظهر من المصادر اليونانية أنها تؤيد الرواية الثانية، وإذاً يتعين الأخذ بها واطراح الأخرى. وأما من حيث مكان الوقعة فالمصادر اليونانية تعينه فتجعله قريبا من ساحل آسيا الصغرى الجنوبي لا قريبا من اسكندرية مصر (انظر تاريخ العصور الوسطى لكمبردج ج ٢ ص ٣٥٣) والمؤلف لاشك يتابع في كلامه هنا السير وليم ميور الذي يأخذ عن المؤرخ الانجليزي جبون، وكلا هذين المؤرخين أصبح قديما ولا يصح التعويل عليه بصفة مطلقة

جاء في ص ٣٧٠ عن وقعة الجمل المشهورة « ونشب القتال وعائشة راكبة في هودجها على جمل يسمى عسكرا واقتتل الناس حوله سبعة أيام حتى صار كالقنفذ من النشاب » والصحيح أن وقعة الجمل لم تدم أكثر من سحابة يوم واحد. فان السبئية من أصحاب علي أججوا انشاب القتال حتى لا يتم صلح بين الفريقين. وقد حملوا بالفعل ليلا على جيش عائشة وما تعالى النهار حتى كان الفريقان قد اشتبكا في وقعة دامية ولم يكد النهار يتصرم حتى كان جمل عائشة

عساكر طائفة من شعره الجيل. وبذلك انتفى ظن بعض أهل العلم أن كتاب الأدب والمروءة هو لصالح بن عبد القدوس بل هو لرجل عربي دمشقي ينتسب الى لخم من أتباع التابعين ومن أساتيذ عالم الأمة الجاحظ

ومثل هاته الهنات المعدودة لا تقدح في كتاب طويل وقع في خمسمائة صفحة، الله أعلم كم قاسى ناشره من المتاعب حتى استخرجه من خطوط قديمة سقيمة. وليس لنا بعد هذا إلا الشكر نقدمه للأستاذ شاكر على عنايته وتجويده

محمد كرد علي

قد عقر وأخــذت عائشة وانتهت الوقعة . ولعمرى إن جيشاً رشق كله أو بعضه بالسهام جمــلا ساعة واحدة لحرى بأن يحيل الجمل كالقنفذ، ولا يقتضى الأمر سبعة أيام!

ومن الخطأ الجسيم ما وقع فيه المؤلف عند ما أراد أن يبدى رأيه فى خروج عائشــة وطلحة والزبير على على، فهو يقول فى ص ٣٧٢ « نرى أنه لا مبرر لعمل طلحة والزبير وعائشــة مادام للأمة إمام ينفذ الأحكام ويقيم الحــدود ولاسيما وقد وعدهم على ابن أبى طالب بالنظر فى أمر عثمان والبحث عن قاتليه والقصاص منهم عند ما تستقر الأمور . على أننا نرى من جهة أخرى أن مجرد قبول على فى جيشــه أعوان ابن ســبأ الذين قتلوا عثمان فى الوقت الذى يطالب الناس فيه بدمه كاف لأن تحوم الظنون حوله وتبرر اتهامه بالاشتراك فى دمه » فالمؤلف ينظر هنا الى كل من الفريقين من وجهة نظر الآخر، وقد خرج من الموضوع ولا رأى له على التحقيق . والوضع الصحيح للمسألة هو ألا مبرر مطلقاً لخروج عائشة وصاحبيها، وأما على فلعل أصدق وصف له فى الفتن التى اضطر الى خوض غمارها أنه كان على الخلاصه مغلوبا على أمره .

ويقول المؤلف فى هامش ص ٤٥٠ تعليقا على كلامه على ضرب الحجاج الــكعبة بالمجانيق: « لم يرد عبد الملك بن مروان أن يحط من شأن الــكعبة وإنما اضطر الى قتال ابن الزبير فحدث ما حدث من غير قصد. وذلك أن الحجاج لما نصب المجانيق على الــكعبة جعل هدفه هذه الزيادة التى زادها ابن الزبير فى الــكعبة، إذ كان الأمويون يعتبرون ذلك بدعا فى الدين » وهذا تحيل عجيب الحال، فان مجرد استحلال القتال فى الحرم فضلا عن رمى الــكعبــة بالمجانيق عمل ينطوى فى نفسه على حط كثير من شأن الأمكنــة المقدســة من غير نزاع . على أن الأمر كان أمر سياسة قبل كل شيء وبنو أمية كانوا إذا تعارضت المصلحة السياسية وأى اعتبار آخر رجحوا جانب المصلحة السياسية كائنا ما كان ذلك الاعتبار الآخر، وتاريخهم كله يشهد بذلك . وقد يكون من المضحك أن يقال إن الحجاج جعل الزيادة التى زادها ابن الزبير فى الــكعبة هدفا لمجانيقه! أفما كان من الممكن الانتظار حتى تضع الحرب أوزارها ثم تنقض الــكعبة وتبنى على أسسها القديمة؟ ثم هل كانت هذه الزيادة متميزة عن سائر بنية الــكعبة بحيث يمكن نقضها دون هدم الــكعبة؟ كلا ثم كلا! لقد كان الهدف الحقيقى للمجانيق هو ابن الزبير نفســه، ولما جعل ابن الزبير الــكعبة حائلا بينه وبين المجانيق ضربت الــكعبة .

ويقول المؤلف فى ص ٤٧١ وقد اســـتعرض أشهر فرق الخوارج فى العصر الأموى: « وإن الناظر الى مبادئهم ليجد أنهم اشتطوا جميعاً فى الحــكم على مخالفيهم حتى ساووا بينهم وبين الــكفار عبدة الأوثان » وهــذا الحــكم على إطلاقه غير صحيح فهو إن صدق على بعض فرق الخوارج كالأزارقة لا يصــدق على بعضها الآخر كالأباضية

ومن الخطأ الجسيم الذى وقع فيــه المؤلف متابعته مؤرخا متوسط المــكانة التاريخية هو السيد أمير على الهندى فى الــكلام على نظام الامارة على البلدان فى العصر الأموى . يقول المؤلف نقلا عن هــذا المؤرخ: « إن هناك نقصا قد تطرق إلى النظام الادارى فى عهد بنى أميــة وجر إلى أسوأ العواقب فيما بعد . وذلك أنه كان يفرض على ولاة الأقاليم الاقامة فى حواضر ولاياتهم . أما فى عهد الأمويين فقد أصبحت ولاية الولايات تســند الى بعض أفراد البيت المالك والى كبار رجال البلاط فــكانوا يبقون فى دمشق ويعينون من قبلهم رجالا يقومون بحكم الولايات نيابة عنهم . وكان من أهم أغراض هؤلاء الأمراء على حساب بيت المال، وإرضاء هؤلاء الولاة بما كانوا يدرونه عليهم من الأموال » ونبادر الى القول بأن هــذا النقل غير دقيق فالسيد أمير يؤرخ النقص الذى تطرق الى النظام الادارى من عهد يزيد بن عبد الملك بن مروان أى من عام ١٠١ هـ فى حين أن كلام الناقل يجعل تطرق النقص منسحبا على العصر الأموى كله

ومع ذلك فــكلام السيد أمير على لا ينطبق على الواقع، فانه إذا كانت الولاية على الأمصار قد أسندت فى بعض الأحوال إلى أمراء من بنى أمية كــسلمة ومروان بن محمد فان ذلك إنما كان لما عرفوا به من الــكفاية الممتازة لا لقرابتهم من الخلفاء . ثم إنه لم يكن لبنى أمية بلاط بالمعنى الصحيح يولى كبار رجاله على الأمصار كما أن الأمراء لم يكونوا يقيمون بالعاصمة ويســتنيبوا غيرهم على الأمصار، إنما كانوا يقيمون فى حواضر الأقاليم نفسها .

هكذا كان خالد القسرى أمير العراق ، ونصر بن سيار أمير خراسان وحنظلة بن صفوان أمير مصر . وإذا انتفت الاستنابة فلا نيابة ولا إثراء ولا رشوة . ولا شك أن السيد أمير على كان يفكر وهو يكتب هذا الكلام فى نظام الولاية على الأقاليم فى العصر العباسى الثانى عند ما غلب الأتراك على الدولة العباسية ، وهو خلط لا مبرر له

ويتكلم المؤلف (ص ٥٧٦) على نظام «العدول» فى معرض الكلام على نظام القضاء فى عصر الخلفاء الراشدين وبنى أمية فيقول « وقد دعت سنة التقدم والارتقاء إلى اتخاذ الشهود (المحلفين) حين فشت شهادة الزور ، إذ جرت العادة أن تقبل شهادة من يتقدم لأدائها ، سواء أكان ممن عرف بالخير أو بالشر . فقضى النظام الجديد بتعيين شهود عدول ، عرفوا بحسن السمعة والفقه ، فصاروا من هيئة المحكمة ، يعمل برأيهم القاضى فيما له علاقة بالتقاضيين

وكان من اختصاصاتهم أيضا الشهادة على ما يصدره القاضى من الأحكام وانه غير مخالف لأحكام الشريعة الاسلامية » لا شك ان المؤلف تناول هذا الموضوع لاعتقاده أن نظام العدول وجد فى العصر الذى اتخذه موضوعا لكتابه . وهو اعتقاد خطأ فأول ما سمع عن نظام العدول انما كان زمن الرشيد أى فى الدولة العباسية (انظر كتاب تاريخ القضاء فى الاسلام ص ١٣٢) ثم ان كلام المؤلف لا يجلو هذا النظام على حقيقته وفيه تخليط كثير (راجع الكتاب المذكور)

ويقول المؤلف فى ص ٦٢٧ وهو يتكلم على الجامع الأموى بدمشق : « وقد تأنق الوليد فى بناء هذا المسجد حتى قيل انه أنفق على عمارته خراج دولته سبع سنين وما ذلك إلا ليتقرب إلى الله بهذا العمل الدينى الجليل » . والمؤلف ينقل هنا عبارة المستشرق فون كريمر ، وفون كريمر يعتمد على ابن الفقيه . ووجه المبالغة غير المعقولة فى تقدير نفقات الجامع ظاهر . وكان ينبغى العدول عن رواية ابن الفقيه والأخذ برواية أخرى متواترة قال بها الاصطخرى وابن حوقل والمقدسى . ومؤداها أن النفقة استغرقت خراج الشام وحده سبع سنوات

* * *

وبعد فلو أردنا استقصاء الأغلاط التاريخية الواردة فى كتاب « تاريخ الاسلام السياسى » لطال الأمر . فنكتفى بهذا القدر . ونختم كلمتنا اليوم بإيراد أغلاط جغرافية جرى بها قلم المؤلف

فبلدة (صحار) تكتب بالصاد المهملة لا بالسين كما كتبت على خريطة جزيرة العرب الواردة فى أول الكتاب ، وبلدة عينتاب تكتب بالياء المثناة بعد العين (انظر نفس الخريطة) ، وإذا أريد تعيين وادى أوطاس فلا يقال انه بين مكة والبصرة (ص ٣١) فالتعيين على هذا النحو وعدمه سواء . ولا يقال فى تحديد ملك الغساسنة « انه كان حول دمشق وتدمر . وكانوا يجولون فى الجهات الجنوبية لدمشق وخاصة لبنان وفلسطين والبلقاء وحوران » فماذا بقى للروم من الشام (ص ٥٦) . ولا يقال ان الطبيعة وهبت نهر اليرموك أسراراً وألغازاً (ص ٢٨٩) ، وإلا فما تلك الألغاز والأسرار ؟ ومن أقبح الخطأ أن يقال ص ٣٣٥ « وقد أنشأ معاوية أسطولا حارب البيزنطيين حتى وصل إلى عمورية فى آسيا الصغرى كما استولى على جزيرتى قبرص وردوس » فعمورية لا تقع على البحر ولكنها فى صميم آسيا الصغرى . كما أن هرقلة ليست واقعة على البحر الاسود ولكنها فى شرق آسيا الصغرى مما يلى منطقة الثغور الاسلامية . (الخريطة ص ٣٧٤) ثم ان خريطة الأندلس ملأى بالخطأ والتحريف مؤرخ